(١)

أسماء الله الحسنى

(الغفور - الستّير - الودود - العليم - الأول والآخر - الظاهر والباطن - الاقترانات السبعة في سورة الحج)

جمع وإعداد :
أ. نجلاء السبيّل

dar-twhid.com
٠٥٤٠٧٠٢٠٠١ - ٢٦١٩٥٦٤

معارج القلب ... إلى حياة الروح

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[1].

و قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[2].

و قال تعالى : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[3].

و قال تعالى :﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾[4].

" إن لله تعالى تسعة و تسعون اسمًا مائة إلا واحدًا لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة " [5] .

و في رواية أخرى " إن لله تسعة و تسعون اسمًا : مائة إلا واحد لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة و هو وتر يحب الوتر ".

[1]- الإسراء ١١٠
[2]- طه ٨
[3]- الحشر ٢٤
[4]- الأعراف ١٨٠
[5]- متفق عليه

أتدْرِي ما الله..؟

عن جبير بن مطعم ﷺقال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺفقال:

يارسول الله نهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله، فقال النبي ﷺ: "سبحان الله، سبحان الله..!" فما زال يسبح، حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: "ويحك، أتدري ما الله؟ إن شأن الله تعالى أعظم من ذلك، إنه لا يُستشفع بالله على أحد"[1].

[1]- أخرجه أبو داود ٤٧٢٦.

بيان أن أفضلَ العلم، العلم بأسماء الله الحُسنى و صفاته العُليا

- **قال ابن القيم "رحمه الله" :**

"أفضل العلم والعمل والحال: العلم بالله و أسمائه وصفاته وأفعاله والعمل بمرضاته

وانجذاب القلب إليه بالحب والخوف و الرجاء، فهذا أشرف مافي الدنيا وجزاؤه أشرف مافي الآخرة.

وإنما يشعر العبد تمام الشعور بأن ذلك عين السعادة إذا انكشف له الغطاء وفارق الدنيا و دخل الآخرة، وإلا فهو في الدنيا وإن شعر بذلك بعض الشعور فليس شعوره كاملا للمعارضات التي عليه، والمحنة التي أُمتحن بها، وإلا فليست السعادة في الحقيقة سوى ذلك"[١]..

- **ويقول ابن رجب "رحمه الله :**

" كنز المؤمن ربه"

أي أن الغنيمة العظمى والكنز الأكبر أن يعرّفك الله بأسمائه وصفاته وأن تستقر هذه المعرفة في قلبك وتتحقق آثارها فيك، فهذا هو العيش الرغيد والنعيم المعجل الذي يناله العبد في الدنيا قبل الآخرة[٢].

- **ويقول الدكتور فريد الأنصاري "رحمه الله":**

"والذي علي أن أبلغك أنها الحلاوة التي لا تدانيها حلاوة، و ليس لي أبدا أن أصف لك المذاق، لأن الحلاوة لا تُدرك إلا أن تُذاق فلتعرف ما هنالك ذق، واسلك عسى أن تكون من الراشدين"[٣].

[١]- المرتبع الأسنى.
[٢]- رسائل ابن رجب.
[٣]- بلاغ الرسالة القرآنية.

ثوابه و فضله..

*** <u>قال رسول الله ﷺ</u>:** "إن لله تسعةً وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة"[1].

*** ما المراد بإحصاء أسماء الله الحسنى..؟**

المراد به ثلاثة أمور:

١- إحصاء ألفاظها وعدها

٢- فهم معانيها

٣- العمل بمقتضاها بمعنى أن تتعبد الله بها، ويكون لها أثر في حياتك

أن تعيش بهذه الأسماء والصفات، وتصل بهذه المعرفة إلى ربك، فيصبح الله همك وغايتك و مقصودك..

والعبد لاتنصلح أحواله ولايطيب عيشه إلا إذا عرف ربه...

- <u>حب آيات الصفات سببٌ لنيل محبة الله:</u>

فقد بشر رسول الله ﷺ الصحابي الذي كان قرأها ويختم صلاته بها فلما سُئل عن ذلك قال: "إني لأحبها لأن فيها صفة الرحمن"[2]..

بشره الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الله يحبه، وهذا فيه إشارة: أن الله يحب من يحب صفاته..

وفي رواية: "حبك إياها أدخلك الجنة"[3].

---

[1]- رواه البخاري.
[2]- رواه البخاري (٦٩٥٧)، مسلم (٢٦٧٧).
[3]- صحيح البخاري (٧٣٧٥)، صحيح مسلم (٨١٣).

- <u>إن الإيمان بالأسماء والصفات أحد أركان الإيمان الستة بل أفضلها وأجلها وأصلها (الإيمان بالله)</u>

"وليس الإيمان مجرد قول العبد آمنت بالله من غير معرفة ربه، بل حقيقة الإيمان أن يبذل جهده في معرفة أسمائه وصفاته حتى يبلغ درجة اليقين، فكلما ازداد معرفة ازداد إيمانا، وكلما نقصت المعرفة نقص الإيمان، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ فمن نسي الله أنساه ذاته، ونفسه، مصالحه، وأسباب فلاحه في معاشه ومعاده"[1]

[1]- فقه الأسماء الحسنى د. عبد الرزاق البدر ص٢٠ - بتصرف-.

توطئة وتأصيل..

* الآيات في كتاب الله تتفاضل لا باعتبار المتكلم بها لأنه واحد جل جلاله، ولكنها تتفاضل باعتبار المعاني والدلالات التي تدل عليه ، فالآيات التي تتحدث عن صفات الرب وعظمته وجلاله وكبريائه هي أعظم الآيات على الإطلاق، فكلام الله عن نفسه أعظم من كلامه عن خلقه، فليست: [قل هو الله أحد] مثل [تبت يدا أبي لهب وتب]..

ومن هنا تفهم لماذا أجاب أُبيّ بن كعب ﷺحين سأله رسول الله ﷺعن أفضل آية في كتاب الله بأنها آية الكرسي..!

وتأمل أنه اختارها من بين أكثر من ستة آلاف آية _فهذا هو عدد آي القرآن_ لكنه حين سُئل توجه إلى آيات التوحيد مباشرة وترك آيات الأحكام و القصص والغزوات والأمثال، وركز في آيات التوحيد وأخص آيات التوحيد هي آيات الأسماء والصفات وأخصها وأجمعها (آية الكرسي)، فهي تتكلم عن الله وألوهيته وحياته وقيوميته وعظمته وعلمه وسلطانه وخلقه وإحاطته..

فهي آية تقودك إلى الله وتعرفك به..!

- أسماء الله كلها حسنى:

أي بالغة في الحسن كماله ومنتهاه، فكلها أسماء مدح وحمد وثناء وتمجيد، فالله لا يُسمى إلا بأحسن الأسماء ﷻ.

- جمع الله لنفسه بين صفات الجلال وصفات الجمال، فله وحده الكمال المطلق:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾

وقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾

أ) **صفات الجلال:** كالقوة، والقدرة، العظمة، الملك، الإحاطة، الهيمنة، الكبرياء، العزة..

وهي تُثمر الخوف والخشية والرهبة المراقبة والذل والحياء والأدب والتعظيم في قلب العبد.

ب)**صفات الجمال:** كاللطف، الرحمة، العفو، المغفرة، البر، الإحسان، الحلم، الشكر، الكرم..

وهي تثير الحب والأنس والمسارعة والمسابقة في السير إلى الله.

- من الأصول المقررة عند أهل السنة والجماعة أن أسماء الله الحسنى مُشتقة من صفاته

فكل اسم يتضمن صفة وليس العكس، مثال:

من أسمائه (الرحمن) يدل على صفة الرحمة..

(اللطيف) يدل على صفة اللطف..

(الأول) إثبات لصفة الأزلية والأولية..

(الآخر) إثبات لصفة الآخرية وإثبات بقائه و أبديته..

ومن صفاته: المجيء، النزول، الإرادة، فلا يسمى بالجائي مثلا، أو النازل، أو المريد..

- أنواع الصفات :

١- صفات ثبوتية

٢- صفات فعلية

الصفات الثبوتية:

(صفات ذاتية، صفات فعلية)

الصفات الذاتية:

هي الصفات الملازمة لذاته العلية على الدوام، لاتنفك عنه بحال من الأحوال، وليست متعلقة بالمشيئة والإرادة

مثل: العلم، الحياة، البقاء، القدرة، السمع، البصر..

الصفات الفعلية:

هي الصفات المتعلقة بمشيئته وإرادته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها

مثل: النزول إلى السماء الدنيا، والإستواء على العرش، والضحك، والفرح، والعجب، والغضب، والسخط والمحبة ونحوها..

- الصفات المنفية وتسمى السلبية:

وهي الصفات التي نفاها ربنا تبارك وتعالى في كتابه أو نفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سننه، مثل: [الشريك، الظلم، الولد، السنية، النوم]، فهذه ننفيها عن الله تعالى ونثبت له كمال الضد لأن النفي المجرد ليس مدحًا، مثال:

نفي النوم لاتصاف الله بكمال الحياة

نفي السِّنة لاتصاف الله بكمال القيومية

نفي الظلم لاتصاف الله بكمال العدل

نفي الولد لكمال صمديّته فالصمد هو السيد الذي يستغني عن غيره ولا يحتاج إلى غيره..

- التعظيم والحب هما ركنا العبودية...

وعبادةُ الرحمنِ غايةُ حبِّهِ مـــع ذَلِّ عابِدِهِ هما قطبانِ
وعليهما فلكُ العـبادةِ دائرٌ ما دار حتى قامت القطبانِ

التعظيم عمل قلبي لا تقوم العبادة إلا به وهو كمال الذل لله تعالى ، وكلما اشتغل العبد بمعرفة ما لله من الكمالات في أسمائه وصفاته وأفعاله ، وآياته الكونية زاد تعظيم الله في قلبه .

وهذا هو السر في خضوع رسول الله ﷺ لربه وهو في أعلى المواقف حين دخل مكة فاتحًا بعد أن طرده أهله وكذبوه، دخل مكة خاضعًا متواضعًا قد حنى ظهره حتى كادت لحيته أن تلامس ظهر راحلته ذلاً وتعظيمًا لله ﷻ،

نفى عن قلبه كل علو أو زهو، أو ارتفاع أو عجب ودخل ذليلاً بين يدي ربه ﷻ.

- المحبة عمل قلبي وهي أصل العبودية ولا يمكن أن تتحقق العبودية إلا بالحب...

يقول أحد السلف : باب الله يُطرق لا بالأظافر إنما يطرق بوجيف القلوب..!
أي: بخفقاتها وحركتها لله تعالى وكأن هذا القلب في حالة سفر دائم، وانجذاب دائم وتحريك لا ينقطع ..!

قال الشيخ حمد بن عتيق في منظومته:

ومِنْ ذاك إحساسُ المحبِّ لقلبهِ بضربٍ وتحريكٍ إلى اللهِ دائمًا

- فبقدر ما مع العبد من المحبة والتعظيم زاد في العبودية وبمقدار ما نقص منهما نقصت العبودية..

فالأساس والأصل هو الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبأسمائه وصفاته

يقول ابن القيم رحمه الله:

[من أراد علو بنيانه فعليه بتوثيق أساسه وإحكامه وشدة الاعتناء به، فإن علو البنيان على قدر توثيق الأساس، فالأعمال والدرجات بنيان وأساسها الإيمان ومتى كان الأساس وثيقًا حَمَلَ البنيان، واعتلى عليه وإذا تهدم شيء من البنيان سهل تداركه وإذا كان الأساس غير وثيق لم يرتفع البنيان ولم يثبت، وإذا تهدم شيء من الأساس سقط البنيان أو كاد][1].

[1]- الفوائد ص ١٧٥.

وصية...

هي وصية لأخواتي معلمات القرآن، وكل من شرفها الله بتدريس كتابه ..

أقول : [من أحب الله بصدق، دل العباد عليه]

أنت أكثر إنسانة مؤهلة لهذه الدلالة، مؤهلة أن تحملي نفسك ومن يدرسون تحت يديك إلى الله ﷻ..

حمل النفس إلى الله معنى كبير وعميق بعمق هذه النفس التي بين جنبينا، نفس حصاها كثير..

أشواكها كثيرة، آفاتها عيوبها ،وتقلباتها كثيرة..

أنينها إذا فطمت عن شهواتها مزعج مقلق ممرض.. كأنين طفل فطم عن صدر أمه..!

كم تضعفنا ونضعُف معها، وكم تشغلنا وننشغل بها ومعها..؟!

كم تتسلط..؟ وكم توسوس..؟ وكم تزين..؟ وكم تشرد منا كما يشرد الغنم من راعيه..؟

وكم من المرات نقف أمامها حيارى عاجزين فكلما اعتقدنا أننا قد قطعنا خطوات وتقدمنا نجد أنفسنا نرجع للوراء

وكأنّنَا ما مشينا شيئًا..

كل ما استقمنا اعوججنا.. وكل ما عزمنا انفسخت عزائمنا ونحن وهي في مد وجزر وجذب ومغالبة..

نصح شيخٌ تلميذه قائلًا:

يا بُنيّ إني حملت نفسي إلى الله كثيرًا فلم تأت معي، فتركتها وذهبت إلى الله..

يا بُنيّ إن شغلتك فاذهب إليه يكفيك همها..!

أراد الشيخ أن يقول لتلميذه: أنك إذا عرفت الله حملت نفسك بعوارها ونقصها وعيوبها وتقلباتها..!

ووقفت بين يدي الله تشكو نفسك له..

هو ربها..

هو يصلحها.. هو يزكيها.. هو يهذبها.. هو يربيها.. فحتّى لا تُعين الشيطان على نفسك..

حتى لا تستسلم لذلك التخذيل الذي تسمع صوته من داخلك..

حتى لا تشرد وتبتعد وتيأس..!

حتى لا تتوه في أودية الدنيا..

فاحمل نفسك إليه..

تأمل في كلمات إبراهيم الخليل عليه السلام وهو يقول: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾

وكلمات موسى الكليم عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾

فسمعه من يصلي بجانبه وهو يقول: "يارب اغفر واقْبَل عبدًا تأخر في المجيء إليك"..

عدّل بوصلة قلبك باتجاهه واحمل نفسك وواصل سيرك ولو حبوًا على ركبتيك.. حتمًا ستصل...!

ستصل ولو كنا خفافًا أو ثقالًا، أو كنا عُرجًا ومكاسير، أو أننا خلَطنا عملًا صالحًا وآخر سيئًا..!

سنظلّ نطمع في ربنا.. ونحمل أنفسنا إليه.. فمن عرف الله طمع فيه..

وكل من يقرأ القرآن بقلب سيعرف من هو الله..!

أختي.. ابنتي..

يا معلمة القرآن..

بقدر ما يمتلأ قلبك بهذه المعرفة، ستملئين قلوب طالباتك بها وتحملينهم إلى الله..

عندها هنيئًا لك فقد رُزقتِ رزقًا شريفًا نفيسًا مباركًا..

اسم الله "الغفور" ﷻ

* يدل اسم الله "الغفور" على معنين:

المعنى الأول:

اللهُ ﷻ يغفرُ الذّنوبَ ولا يُؤاخِذ عليها..

* جاء اسم الله "الغفور" على صيغة مُبالغة، أي كثيرُ المغفرة يغفر لعباده المغفرة تلو المغفرة..

وكم نحتاج لهذه المغفرة فذنوبنا كبيرة..!

تارة تغلبنا.. وتارة تستهوينا.. وتارة نطلبها.. ومهما هربنا منها نرجع إليها إنه الضعف البشري الذي جُبلنا عليه تصوره هذه الآية: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾..!

ضعيفٌ في همته.. ضعيفٌ في صبره.. ضعيفٌ في عزيمته.. ضعيفٌ أمام شهواته، قال رسول الله ﷺ: "إنَّ عبدًا أصاب ذنبًا، وربما قال: أذنب ذنبًا، فقال: ربِّ أذنبتُ، وربما قال: أصبتُ، فاغفِرْ لي، فقال ربُّه: أَعَلِمَ عبدي أنَّ له ربًّا يغفر الذنبَ ويأخذ به..؟ غفرتُ لعبدي، ثم مكث ما شاء اللهُ ثم أصاب ذنبًا، أو أذنب ذنبًا، فقال: ربِّ أذنبتُ - أو أصبتُ - آخر فاغفِرْه..؟ فقال: أَعَلِمَ عبدي أنَّ له ربًّا يغفر الذنبَ ويأخذ به..؟ غفرتُ لعبدي، ثم مكث ما شاء اللهُ، ثم أذنب ذنبًا، وربما قال: أصاب ذنبًا، قال: ربِّ أصبتُ - أو قال: أذنبتُ - آخرَ فاغفِرْه لي، فقال: أعَلِمَ عبدي أنَّ له ربًّا يغفر الذَّنبَ ويأخذُ به..؟ غفرتُ لعبدي، ثلاثًا، فليعملْ ما شاء"[1]..

هل يعني هذا فتحٌ لباب الذنوب..؟

بالطبع لا..!

ولكن طالما أننا نُذنِب فنتوب.. ثم نرجع.. ثم نستغفر لن نحرم من مغفرة الله فإنه الغفور الكثير المغفرة..

[1]- رواه البخاري.

المعنى الثاني:

الستر؛ غفر بمعنى سَتَر..

يُقال للمغفر الذي يُلبس في الرأس مِغْفر؛ لأنه يستر الرأس ويغطيه كله..

ويُقال للجمع: جمع غفير أي يستر بعضهم بعضًا..

<u>والمعنى في حق الله:</u>

الله غفور يسترك.. يستر ذنبك.. يستر معايبك.. يسترك من الفضيحة.. يسترك من شماتة الأعداء.. يسترك من إيذاء من يريد إيذاءك..!

و السَّتر نِعمة من الله ﷻ قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾، يقول الضَّحاك بن مزاحم: "أما النعمة الظاهرة فالإسلام والقرآن، وأما النعمة الباطنة أنه قد ستر عليك ذنوبك فلم يطَّلع عليها أحد غيرك"..

وكم من ذنبٍ وقعنا فيه.. خُضناه وتلبَّسْنا به ونحن نعلم أنه يُغضب الله فطلبنا من الله أن يسترنا فسترنا، وربما مضى على هذه الذنوب سنوات وسنوات وأقرب الناس لنا لم يعرفوا شيئًا عنها..إنه ستر الله الذي جلّلنا به ولا أحد أكثر سترًا على العباد من الله..!

* والله يحب من العبد أن يستر نفسه ولا يفضحها مهما أخطأ أو تعثر أو زلّ..!

دخل رجل على النبي ﷺ فقال: "يا رسول الله إني عالجت امرأة في أقصى المدينة وأني أصبت منها من دون أن أمسّها، فأنا هذا فاقض فيّ ما شئت، فقال له عمر رضي الله عنه: لقد سترك الله لو سترت نفسك"[1]..!

سكت النبي ﷺ وسكوته فيه إقرار على صحة كلام عمر رضي الله عنه..

* جاءت إحدى نساء المؤمنات إلى السيدة عائشة رضي الله عنها وقد أصابت ذنبًا أخبرتها به، فقالت السيدة عائشة: "يا نساء المؤمنين إذا أذنبت إحداكنّ ذنبًا فلْتستغفِر الله ولْتَتُب ولاتخبِرنّ به أحدًا فإن العباد يُعيِّرون ولا يُغيِّرون وإن الله يُغيِّر ولا يُعيِّر "[2]

[1]- صحيح مسلم، كتاب التوبة رقم ٢٧٦٣

[2]- المنتقى من مكارم الأخلاق للخرائطي ص١٠٢.

* جاء ماعزُ بنُ مالكٍ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ طهِّرني، فقال: "ويحك..! ارجع فاستغفرِ اللهَ وتُبْ إليهِ" قال: فرجع غيرَ بعيدٍ ثمّ جاء فقال: يا رسولَ اللهِ طهِّرْني، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: "ويحك..! ارجع فاستغفرِ اللهَ وتب إليهِ" قال: فرجع غيرَ بعيدٍ ثمّ جاء فقال: يا رسولَ اللهِ طهِّرْني، فقال النبيُّ ﷺ مثلَ ذلك؛ حتى إذا كانت الرابعةُ قال لهُ رسولُ اللهِ ﷺ: "فيمَ أُطَهِّرُكَ..؟" فقال: من الزنى..! فسأل رسولُ اللهِ ﷺ: "أَبِهِ جنونٌ..؟" فأُخْبِرَ أنَّهُ ليس بمجنونٍ، قال: "أَشَرِبَ خمرًا..؟" فقام رجلٌ فاستنكهَه فلم يجد منهُ ريحَ خمرٍ، قال: فقال رسولُ اللهِ ﷺ: "أزنيتَ..؟" قال: نعم، فأُمرَ بهِ فرُجِمَ"[1]..

إعراضُ النبيّ ﷺ مرّة وثانِية وثالثَة يدل على أن الأولى أن يستر نفسه ولا يفضحها مادام الله أن قد ستره..

وقد قال ابن عبد البر: "إن الله لا يُهلك أمة وهم يستترون بالذنوب" ومعنى كلامه رحمه الله ليس الاستسهال بشأن الذنوب وإنما إشارة أن العبد المستترُ بذنبه الذي استحيا من ربه ومن نفسه ومن الناس.. مازال فيه بقيةُ إيمان.. بقيةُ حياء.. هو لا يريد أن يجاهر بذنبه أو يتجرأ على الله..

هو يستأنس بالمعصية ويتلذذ بها في وقتها ولكنها في نفسه يكرهها ويتمنى أن تنزع من قلبه وأن يتخلص منها.. هذا الكُره وهذا الاستقباح لا يضيعُ عند الله.. مُجاهدة ومغالبة ومُصابرة وهذه المجاهدة عبادة يحبها الله، هي علامة صدق وإيمان ومع طول استمرارها يُوفَّق للتوبة؛ لربّما لحظة حياء من الله وقعت في قلبه فيُهدى: "**إذا عظَّمت الله في السر هداك في العلانية**"..

هذا الاستتار يدخله في دائرة من قال الله عنهم: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾

فرقٌ بين من هذا حالهم وبين من يستترون وعندهم خبث ومكر وإصرار على الذنب وأُشربت قلوبهم حبه.. ليس لديهم ذرة ألم ولاحياء ولا استقباح؛ بل قد يكون نوعًا من أنواع النفاق: "إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها"..!

فرقٌ كبير بين من " ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه" وبين من " إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها"..!

الخلوات إما أن ترفعك وإما أن تسقط بك..

وأعظم الستر أن يسترك الله في ذلك اليوم من ذل الفضيحة أمام رؤوس الخلائق والأشهاد..!

يُدني الله ﷻ عبده المؤمن.. يقربه.. يخلو به ويقول: "عبدي أتذكر ذنب كذا.. أتذكر ذنب كذا.. أتذكر ذنب كذا.. فيقول العبد: نعم يا ربْ.. نعم يا ربْ حتى يقرره بجميع ذنوبه فيظن العبد أنه لا محالة هالك فيقول الله: "عبدي سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم"[2]..

[1]- رواه مسلم، كتاب الحدود رقم ١٦٩٥.
[2]- رواه الشيخان.

وهو الحيي فليس يفضح عبده عنـد التجاهر منه بالعصيـــان
لـكنـــه يُـــلقي علـيه ستره فهو السِـتيرُ وصاحب الغفران

* من الستر الذي يحبه الله أن يستر العبد على أخيه المسلم مهما رأى من الزلات والسقطات والهفوات لأن: "من ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة"، والنبي ﷺ عاتب هزَّال الذي أشار على ماعزٍ ﷺ بالاعتراف بالزنا، قال له: "لو سترته بثوبك لكان خيرًا لك مما صنعت به" أي: لو نصحته بأن يجعل توبته بينه وبين الله خير له من أن يذهب ويعترف..!

فالمؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعيّر والعياذ بالله، عن ابن مسعود ﷺ أنه أُتي برجل فقيل له: هذا فلان تقطر لحيته خمرًا فقال: أنا نُهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به[1]..

وهذا الأثر يدل على شدة حرص الصحابة ﷺ على الستر وعدم التجسس لكشف المخبوء حتى إنه لما جيء بهذا الرجل الذي تقطر لحيته خمرًا وكان مجيء الناس به وقد استتر بفعله ذلك ترك ابن مسعود مؤاخذته ولم يُقِم عليه الحد[2].

وعن أبي برزة الأسلمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتّبع عوراتهم يتّبِع الله عورته، ومن يتّبع الله عورته يفضحه في بيته"[3]

* دل الحديث أن تتبع العورات والاستقصاء في طلبها على المسلمين مع عدم الداعي لذلك هو وصف المنافقين حيث قال في أول الحديث: " يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه..."

* وقد أُثر عن علي ﷺ أنه قال: " القائل الفاحشة والذي يشيع بها في الإثم سواء"[4]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله معلقًا على قول الله تعالى: [﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ هذا تأديبٌ لمن سمع شيئًا من الكلام السيء فقام بذهنه شيء وتكلّم به فلا يكثر منه ولا يشيعه ولا يذيعه][5]..

* ومن صور الستر أيضًا أن يستر الله معايبك عن الناس..

و ما مُدح عبدٌ على وجه الأرض إلا لأن الله ستر معايبه ونقائصه عن الناس فالله يظهر الجميل ويستر القبيح.. وقد علمنا النبي ﷺ أن نُكرر صباحًا ومساءً: "اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي" وهذا سترٌ يشمل جميع العيوب والنقائص وكم نحتاجه حتى يستر الله مثالبنا وعيوبنا عن أعين البشر..

---

[1]- رواه أبو داود في الأدب ٤٨٩٠.
[2]- كتاب الستر على أهل المعاصي ص٥٥.
[3]- رواه أبو داود، كتاب الأدب رقم ٤٨٨٠.
[4]- رواه البخاري في الأدب المفر رقم ٣٢٤.
[5]- تفسير القرآن العظيم (٣ / ٣٠٣).

* واعلم أنه كلما حافظت على الستر الذي بينك وبين الله في أوقات الخلوات وأوقات لا يراك فيها أحدٌ إلا الله فإن الله ﷻ سيحفظ لك الستر الذي بينك وبين الناس ويستر الله معايبك عنهم..!

* من صور الستر أيضًا أن يسترك الله من شماتة الأعداء..!

فلا يشمت بك عدوًّا أو يلحق بك الأذى.. يذكر البيهقي أن الرسول ﷺ كان جالسًا بجوار أبي بكر ﷺ فجاءت أم جميل ومعها سُفود (حديدة) والشر يتطاير من عينيها تبحث عن رسول الله وتقول: سبَّني محمد، هجاني محمد تريد أن تؤذيه وتهجوه، فلما جاءت أعرضت وأخذت تنظر لأبي بكر وتخاطب أبا بكر والنبي ﷺ بجواره لكنها لم تخاطبه ولم تنظر إليه، فلما انصرفت قال أبوبكر ﷺ: يا رسول لم تخاطبك، قال: "يا أبا بكر لم ترني" فقال الرسول: لما رأيتها قرأت: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾

نعمةٌ كبيرة يوم أن يسترك الله ممن يريد الشماتة بك، أو يريد إيذاءك أو شتمك فيصرفه الله عنك وتبقى محفوظًا محفوفًا بستر الله ﷻ..

ما السرّ في اقتران اسم الله الغفور بالودود:

(وهو الغفور الودود):

المغفرة لا تكون إلا للذنب والود هو الحب فما علاقة المغفرة بالحب..؟ ما سبب اقتران هذين الاسمين في موقع فيه عذاب وألم..؟

الجواب:

"إن من الذنوب ذنوبًا تحتاج في تكفيرها إلى مبضع عنيد في جرح شديد يوقع الألم فيبرأ الجرح"

والمعنى: هناك ذنوب هي بذاتها جِراحاتٌ كبار تحتاج إلى عمليات جراحية.. تحتاج إلى قطع.. تحتاج إلى تمزيق أنسجة لتبرأ وتُشفى وتُعالج..

بنو إسرائيل عندما عبدوا العجل كيف كانت كفارتهم..؟ كيف طهرهم الله ﷻ من هذا الذنب..؟ آية سورة البقرة تحكي:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾

وصف ابن عباس ﷺ عملية التطهير و القتل هذه فقال: أخبر موسى ﷺ قومه أن الله ﷻ أمره أن يقتلوا أنفسهم أي: اقتلوا إخوانكم، فأخبر الذين عبدوا العجل فجلسوا وقام الذين لم يعبدوا العجل فأحذوا الخناجر في أيديهم فجعل يقتل بعضهم بعضًا حتى قتل في ذلك اليوم سبعون ألفًا منهم..!

رأى موسى ﷺ هذا المنظر.. وهذه الدماء.. وهذه الأشلاء.. وهؤلاء القتلى.. فبكى وتضرع إلى ربه حتى رفع الله عنهم القتل وتاب عليهم..

* ارتكاب المعصية ذنب.. وحبُّ المعصية ذنبٌ آخر.. هؤلاء لم يعبدوا العجل فقط وأشركوا بالله..

إنما أُشربوا حب العجل في قلوبهم فجاء تكفيرهم مختلطًا بالألم..!!

ذنوب لا تكفر إلا بألم..

وكلما كان الذنب أكبر احتاج في كفارته إلى ألم أكبر ومعاناة أشدّ..

* كعب بن مالك ﷺ أذنب ذنبًا كبيرًا فكانت توبته مقترنة بألم..

ماذا فعل..؟!

كعب بن مالك ﷺ لم يخرج مع النبي ﷺ في غزوة تبوك بل تخلف عنها والله ﷻ يقول: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾

خالف أمر الله وأمر رسوله ولم يخرج.. ولم يكن من أهل الأعذار حتى يُعذر.. إنما كان شابًّا قويًّا عنده مالٌ وراحلة وفرسان ولكن غلبته نفسه وتخلف وجلس في المدينة..!

كيف كانت كفارته..؟

أمر الرسول ﷺ أهل المدينة كلهم أن يقاطعوه.. فقاطعه الصحابة ﷺ.. قاطعته المدينة بأكملها..!

كان يتمنى أن يُسلم عليه أحد أو يَردّ السلام عليه أحد..

يزداد الألم أكثر وأكثر.. ذهب يبحث عن أحب الناس إليه وأقربهم إلى قلبه وأعرفهم به ابن عمه أبو قتادة فقال: "يا أبا قتادة ناشدتك الله أتعلم أني أحب الله ورسوله؟ سكت فكرر عليه السؤال مرة أخرى: يا أبا

قتادة ناشدتك الله أتعلم أني أحب الله ورسوله؟ فسكت ولم يجب عليه فكرر عليه السؤال مرة ثالثة فما زاد على أن قال: الله ورسوله أعلم..!

كانت ضربة قاصمة لظهر كعب بن مالك ﷺ أن يشك أحدٌ في حبه لله والرسول لأنه مهما زلّ ومهما عصى إلا أنه مازال يحب الله ورسوله.. كان ينتظر سماع كلمات التثبيت هذه من ابن عمه لكن حتى هذه لم يسمعها..!

لم ينتهي الألم.. بل جاءه ألم ثالث وهو أمر الرسول ﷺ له بأن يعتزل زوجته.. فأصبحت المقاطعة من الداخل والخارج، فقال لزوجته: الحقي بأهلك حتى يقضي الله في أمري..!

تتابع الآلام.. ألم رابع أكبر وأشد.. أرسل له ملك غسان رسالة يقول فيها: "بلغنا أن صاحبك قد جافاك فالحق بنا نواسيك" أي: اترك هذا الرجل.. اترك هذا الدين والحق بنا و لك قدرك ومكانتك و وجاهتك.. فمزق الرسالة على الفور..!

بلاء شديد جدّا.. استمر خمسون ليلة وهو يعاني ويتألم حتى وصف الله ﷻ الحال التي وصل إليها مع صاحبيه الذين تخلفوا مثله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾

ضاق عليهم كل شيء.. كل شيء في حياتهم تغير، كل شيء انصبغ بصبغة المرارة.. حتى جاء الفرج من الله وسمع كعبٌ صارخًا يقول: يا كعب بن مالك أبشر.. فلما سمعه خرّ لله ساجدا وعلم أن الفرج قد جاء.. ثم أخذ البشارة من فم الرسول ﷺ: "أبشر يا كعب فإن الله قد تاب عليك" ذنوبٌ لا تكفّرُ إلا بألم..!

ومع ما يذوقه العبد من ألم المغفرة إلا أنه قد غُلِّف بحب الله ﷻ..

ألمٌ مع تنقية.. ألمٌ مقترن بالتزكية والتطهير والرفعة للدرجات.. ألمٌ مغلّفٌ بودّ وحبّ..!

هذه العقيدة تريح الإنسان وسط هذه البلاءات.. وهذا هو السر في هذا الاقتران (وهو الغفور الودود)..!

اسم الله " العليم " ﷻ

وهو العليم أحاطَ علمًـــا بالذي ... في الكـــونِ من ـرٍّ ومن إعلانِ
وبكـــل شيءٍ علمـــه سبحانه ... فهو الـمحيطَ وليـــس ذا نسيانِ
وهو الـــعليم بما يوسوسُ عبدُهُ ... في نفـسـه من غـــير نُطق لسانِ
بل يستوي في علمه الداني مع ... القـاصي وذو الإسرار والإعلان
وكـذاك يعـــــلم ما يكونُ غدًا ... وما قد كان والموجود في ذا الآنِ
وكـذاك أمرـــٌ لم يكن لو كان ... كيـــف يكونُ ذاك الأمرُ ذا إمكانِ

* اسم الله "العليم" تكرر في القرآن ما يُقارب مائة وخمسة وسبعين مرة.. وقد أثنى الله تعالى على نفسه بسعة علمه.. فهو يعلم ما في السموات.. وما في الأرض.. وما في البر.. وما في البحر: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾

لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السموات، ولا في قرار البحار ولا تحت أطباق الجبال، فلا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه، يعلم دبيب الخواطر في القلوب ويعلم السرّ وأخفى، ويعلم ما كان وما يكون، ولا حبةٍ في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس ولا ساكن ولا متحرك إلا وهو بعلمه على حقيقته..

ولو جُمعت علوم البشر كلِّها منذ أن خلق الله الخلق إلى يوم القيامة ووزنت بعلم الله لتلاشت واضمحلت وكأنها لا شيء..! كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، ولحديث ابن عباس ﷺ في قصة موسى عليه السلام مع الخضر "حين ركب معه السفينة، فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين في البحر، فقال الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في البحر".

* "ويكفي أن ما يتكلم به من علمه لو قُدّر أن البحر يمدّه من سبعة أبحرٍ مدادًا وأشجار الأرض كلها أقلامٌ يكتب له ما يتكلم به مما يعلمه لنفدت البحار وفنيت الأقلام ولم تنفد كلماته"[1]..

[1]- المرتبع الأسنى ص٤٠٧

الآثار التعبدية لاسم الله "العليم":

١- التواضع لله وقطع شجرة الكبر والعجب:
مهما تعلم العبد.. ومهما بلغ في علمه فليس منه شيء وليس له شيء ولن يخرج من قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾
كلُّ علمٍ إنما هو إيتاء من الله.. لو شاء لسلبه ونزعه.. ولو شاء لحرمه وما استطاع أن يعلم ولا يتعلم كما فعل الله ﷻ مع عالم بني إسرائيل: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾
لو فهم العبد معنى هذه الآية لافتقر إلى الله كثيرًا، وسأل ربه العلم النافع كما كان يفعل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.. كان يذهب إلى الأماكن التي لا يراه فيها أحد ينطرح بين يدي ربه يسأله: " اللهم يا معلم إبراهيم وآدم علمني، ويا مُفهِّم سليمان فهمني".. والملائكة وهم الملائكة يقولون: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾

" لن يكونَ عندك علم إلا إذا علّمك الله"..!

٢- هذا الاسم يورث العبد الحياء من الله:
إذا علم العبدُ أن الله يعلم تفاصيل قلبه وخواطره ويعلم ما يلوك وما يدور ويعلتج في باطنه وسره أخفاه عن ألصق الناس به وأقرب الناس إليه فإن الله يعلمه: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُ﴾

* إذا استحضر العبد هذا المعنى فإنه سيستحي من الله أن ينظر إلى قلبه فيجده مشغولًا بالحرام.. أو مشغولًا بخواطر فارغة لا فائدة منها تمحق بركة العلم والبصيرة والعقل والوقت..!

* يستحي أن ينظر الله إلى قلبه فيراه قد امتلأ بالآفات والأسقام والأورام..!
فبعضُ القلوب أشبه ما تكون بالكهوف المظلمة التي تعوي فيها الذئاب لكثرة ما فيها من السخائم واللوثات والشوائب والأحقاد والضغائن والكبر والعجب..

*يستحي أن يعصي الله في الخلوات فيكون ممن قال الله فيهم: ﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا﴾..!
هو يُجلّ نظر الله إليه فلا يريد أن يراه الله في مكان أو وضع أو على حال أو هيئة لا ترضي الله عنه فيسقط من عين الله، وذنوب الخلوات كم تُسقط أصحابها، قال ابن الجوزي: "رأيتُ أقوامًا من المنتسبين إلى العلم أهملوا نظر الحق إليهم في الخلوات، فمحى الله محاسن ذكرهم في الجلوات، فكانوا موجودين كالمعدومين، لا حلاوة لرؤيتهم، ولا قلب يحنُّ لقارئهم، فالله الله في مراقبة الحق سبحانه، فإن ميزان عدله تَبين فيه الذرة، وجزاؤه مرصد للمخطئ ولو بعد حين، وربما ظن الغافل المغرور أنه العَفوُ وإنما هو الإمهال"..!

٣- هذا الاسم يورث الطمأنينة إلى الله:

قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾

اللهُ وحده هو الذي يعلم عواقب الأمور.. يعلم ما ينفع هذا العبد وما يضره.. هو وحده الذي يعلم ضعفه وحاجته وما يسد ثغراته والنقص الذي فيه.. فلا يقدّر عليه إلا الخير ولا يريد به إلا الخير فيطمئن له خيرٌ له من اختياره لنفسه، قال رسول الله ﷺ: "عجبًا لأمر المؤمن إنّ أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له "[1].

٤- يورث إجلال الله والخوف منه:

لا يَحجِب العبد عن الشهوات التي قال عنها رسول الله ﷺ: " وحُفّت النار بالشهوات"[2] إلا حاجبُ: الخوف من الله ومراقبته وخشيته..

هذه الشهوات هي القائد للآثام والمعاصي والذنوب.. والشهواتُ متعددة..!

من الناس من شهوته في بطنه.. ومنهم من شهوته في فرجه.. ومنهم من شهوته في لسانه ومنهم في سمعه و بصره.. وجميعها تشترك في: أنها شهوات مُزينةٌ محببةٌ.. كلُّها تقول هيتَ لك..!

وكلما اقترب العبد من هذه الشهوات ووقع فيها فقد وقع في حريق، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾

هذه شهوة من الشهوات إنها شهوات المال وحبه والاستكثار منه جعلته يأكل أموال اليتامى ظُلمًا.. وماذا كانت النتيجة..؟

إنما يأكلون في بطونهم نارًا..!

كل خطوة يخطوها الإنسان للشهوة إنما هي تقربه للحريق وحريق الدنيا يختلف عن حريق الآخرة..!

حريق الآخرة نارٌ تلظّى لا يصلاها إلا الأشقى.. ومشكلتنا أننا لا نشاهد حريق الآخرة، لا نشهده بعيوننا فنتساهل فيه ونخوض ونصرّ.. ذنب يعقبه ذنب يعقبه ثالث ورابع وعاشر..

فيصبح القلبُ محاصرًا بالحريق.. فيتلف القلب ويفسد ويهلك ويُصطلى بالوحشة والظلمة والضيق والحرمان وقد قال رسول الله ﷺ: " حفت النار بالشهوات"

[1]- رواه مسلم.
[2]- رواه مسلم.

*** ما هي الأسباب التي ندرك بها أنفسنا لكي نُطفئ حريق المعاصي والذنوب..؟؟**

١- كثرة الاستغفار:

اعلم أنك إذا لم تحاصر ذنوبك بكثرة الاستغفار فإنها ستشتعل بداخلك.. ستكبر.. ستُحاصرك..

جاء في الحديث القدسيّ خبر ذلك الرجل الذي أذنب ذنبًا ثم جاء يشتكي نفسه لربه فقال: يارب إني أذنبت ذنبًا فاغفره لي، فقال ربه: " علم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له"، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبًا آخر فقال: يا رب إني أذنبت ذنبًا آخر فاغفره لي، فقال ربه: " علم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له"، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبًا آخر فقال: يا رب إني أذنبت ذنبًا آخر فاغفره لي، فقال ربه: " علم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به، غفرتُ لعبدي فليعمل ما شاء"[١].

والمعنى "أنّ الله سيظلُّ يعامل عبده بالمغفرة طالما أنه على حالة استغفار وتوبة".. هذا وعدٌ من الله،وهذا هو الذي نتكلم عنه [إطفاء الحريق]، محاصرة الذنب بالتوبة والاستغفار، ولا يُفهم من هذا أن يقصد الإنسان الذنوب ويخطط لها وكل ما انتهى من ذنب دخل في الثاني ويصبح كأنه مشروع سيئات ممتد ومتصل ومتسلسل ومستمرّ إنما المقصود الذي يتوب وهو صادق ثم تغلبه نفسه ويقع ويتحسر ويندم ويستغفر ثم يقع ثم يستغفر فإن الله سيعامله بالمغفرة..

٢- إتباع السيئة بالحسنة:

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾

معالجة ربانيّة للأخطاء التي نقع فيها.. لا تنقطع مهما تعثرت، كلما صدر منك ذنب أو وقعت في زلل اعمل أمامه عملًا صالحًا وإن كان صغيرًا واجمع معه الاستغفار فإن لحظة ندم صادقة قد يُنجيك الله بها..!

ومن أكبر الحسنات الماحية المطفئة لحريق الذنوب هي الصلاة..

* الصلاة بعمومها كالنهر الجاري الذي يغتسل فيه الإنسان خمس مرات يوميًّا فيطهره تمامًا من كل ما يتعلق به من الأوساخ والأقذار فهي من أكبر المطهرات والحسنات الماحية..

[١]- رواه البخاري ومسلم.

* النية الصالحة قد ينجيك الله بها: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ﴾، وقال الله تعالى: ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾..

تأمل النية الصالحة في الإصلاح: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ﴾، هذه النية كفيلة أن تجُبّ ما كان من خطأ، وأن تُعينك على التصحيح.

٣- الابتعاد عن مواطن السيئات:

لا تقترب.. ابتعد عن أماكنها.. عن أشخاصها.. كل ما يُثير المعصية في قلبك..

وانظر إلى الصورة البديعة التي رسمها رسول الله ﷺ لذلك الذي يفرُّ بدينه: " يُوشك أن يكون خير مال المسلم غنمًا يتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر يفرُّ بدينه من الفتن"[١]..

اختار حياة الجبال بكل ما فيها من مشقة وتعب.. اعتزل الناس.. ذهب يلاحق غنمه فرارًا بدينه وخوفًا على إيمانه واستقامته وهدايته.. وكأن هذا الحديث يشير إلى معنى كبير مهم: **(فِرَّ من المعصية ما استطعت)..!**

وقد صارت المعاصي في زماننا هذا يسيرة جدًّا..

وتيسير المعاصي هو امتحان يمتحن الله به العباد، تأمل كيف امتحن الله الصحابة ﷺ حين حَرَّم عليهم الصيد وهم حُرُم.. ثم جعل الصيد يأتيهم ويحوم حول خيامهم.. لا يضطرون للخروج أو البحث بل هو في متناول أيديهم مُيسّر لهم.. أراد الله أن يختبر صدقهم فيسَّره لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ﴾..... والسبب: ﴿لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِ﴾..!

مثل ذلك الرجل الذي أحبّ ابنة عمه حبًّا شديدًا كأشدّ ما يحبّ الرجال النساء..

راودها عن نفسها فامتعنت ثمّ أصابتها حاجةٌ وفقر فأتت إليه ومكّنَتْه من نفسها فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته وتيسرت المعصية له ذكرته بالله: "اتق الله ولا تفُضّ الخاتم إلا بحقه"[٢]

فقام عنها إجلالًا لله.. وتعظيمًا لله.. وخوفًا من الله..

فكان هذا الخوف سببًا في تفريج الكربة حين أغلقت عليهم الصخرة باب الغار..!

فَأَرِ الله من نفسِكَ خيرًا.. فِرّ بدينك وإيمانك من مواطن المعصية وأشخاصها.. واعلم أنك تحت علم الله ومراقبته..

---

[١]- رواه البخاري.
[٢]- متفق عليه.

٤- كثرة ذكر الله ﷻ:

إذا كان الذكر يثبت قلب المؤمن في ساحات الجهاد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ فهو يثبتها أمام عواصف الشهوات وزلازل المعاصي..!

كثرة الذكر تُطفئ حريق المعاصي لما ورد عن رسول الله ﷺ أنه أخذا غصن شجرة ونفضه ثلاث مرات ثم قال: " إن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله ينفضن الخطايا كما تنفض الشجرة وَرَقها"[1]، فالذكر من أقوى المكفرات والمطهرات..

هذه أربعة أسباب يحاصر بها الإنسان معاصيه ويُطفئ بها حريق الشهوات والخطايا والآثام.

[1]- رواه البخاري في الأدب المُفرد.

اسم الله " القريب " ﷻ

* يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾

وهو القريب وقُربُه المختص بالداعي وعابدِه على الإيمانِ

* إنه قربٌ خاص من عابديه وسائليه ومُحبّيه، قربٌ مقيّد بصنوف من الناس، قربٌ لا تدرك له حقيقة وإنما له حلاوة ولذةٌ وفرحٌ وفيوضات وآثار تظهر على العبد، فالله تعالى مع علوّه فوق خلقه، فوق سبع سموات مستوٍ على عرشه؛ فهو قريب منهم، أقرب إليهم من أنفسهم، قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾

فهو سبحانه قريبٌ في علوِّه، عليٌّ في قربه[1]، وقرب الله ليس كقُرب غيره:

١- الله قريبٌ ممن دعاه وسأله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾

كما في حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: كنا مع رسول الله في سفر فارتفعت أصواتنا بالتكبير، فقال: " أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمّ ولا غائبًا إن الذي تدعونه سميعٌ قريب أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته".

٢- الله قريبٌ من أهل الموقف في عشية عرفة، فالله ينزل عشيّة عرفة إلى السماء الدنيا ويدنو من عباده، يدنو من أهل الموقف ويباهي بهم ملائكته: " يا ملائكتي ماذا أراد هؤلاء..؟؟"

٣- الله قريبٌ من الساجدين، قال رسول الله ﷺ: " أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء"[2].

٤- الله قريبٌ من أهل قيام الليل، ففي حديث عمرو بن عبسة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: " أقربُ ما يكون الربّ من العبد في جوف الليل الآخر فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكُن"[3]

فالله قريبٌ ممن اقترب منه، فكلما أردتَّ كمال القُرب فزِد في عبادتك، زِد في صيامك وصدقاتك وإحسانك، زِد في نوافلك، تفقد نوافلك، قُم بتكميلها فكلما تقربت لله بالنوافل أحبّك الله أكثر وقرّبك أكثر..

فلعلّك تزداد بالقُربِ قُربًا..

---

[1]- أسماء الله الحسنى جلالها ولطائف اقترانها ص ٨٧.
[2]- رواه مسلم.
[3]- رواه الترمذيّ.

* هذا القُرب من لوازم المحبة.. فكلما كان الحبّ أعظم كان القربُ أعظم، فحافظ على هذا الحبّ وعلى هذا الودّ، وإياك أن تفسد ما بينك وبين ربّك، إياك أن تتبغض إليه وهو يحبّك، إيّاك أن تبتعد وأن تشرُد..

حافظ على هذا النعيم المُعجل الذي عُجّل لك في الدنيا قبل الآخرة..

* ومن آثار قرب الله من العبد أن يُجيب الله دعاءه، فلن يخيب عبدٌ سأل ربّه القريب المُجيب..

فإذا دعا العبد وتأخرت الإجابة فهذا ليس لأن الله بعيد أو لأنه لم يسمع، أو لأنه لم يُجِب.. لا بل الإجابة وعَد الله بها فهي متحققة متحققة، حاصلة حاصلة، ولكنها على أشكال:

إما أن يُعطيه الله الشيء الذي طلبه..

وإما أن يؤخره الله عنه لحكمة ثم يُعطيه..

أو يصرف عنه من الشرور والبلاء بحجم نعمة الدعاء.. أو يدخر له الأجر والثواب ما يكون بقدر هذه النعمة..

اسم الله [الأول والآخر والظاهر والباطن] ﷻ

❖ **اسم الله (الأول):**

عرّفه النبي ﷺ فقال: الأول الذي ليس قبله شيء.

كان الله ولم يكن شيء قبله سبحانه وبحمده، هو المُبتدئ بالإحسان من غير وسيلة ولا سبب من العبد، هو الذي ابتدأك إعداداً وإمداداً: أي خلقك وأعدّك وأمدّك.

خلق لك الأسباب، هيأها لك، ساقها لك، يسرها لك، أعانك على الانتفاع بها، فانظر إليه بسبق الأولية أي انه سبحانه وبحمده الأول قبل الأسباب كلها.

❖ **اسم الله (الآخر):**

عرّفه النبي ﷺ هو الذي ليس بعده شيء.

كل شيء يهلك ويفنى وينتهي ويزول ويبقى سبحانه الواحد القهار ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾..

فهو الآخر الذي تنتهي دونه الأسباب ويبقى بعد الأسباب كلها. فلو انقطعت الأسباب وعُدِمت وفُقِدت لا يعني هذا أن عطاء الله انقطع، بل يبقى الله هو الآخِر الذي يعطي لطفاً وهبةً من عنده بدون أسباب.

* كيف أحقق الإيمان من خلال اسم الله (الأول والآخِر)؟ وكيف أتعبد الله باسمه (الأول والآخِر)؟

- المؤمن ينظر للأسباب ويؤمن يقينًا بأنها غير مؤثرة بذاتها بل إذا أراد الله أن يُمضيها أمضاها ونفعت، وإذا أراد الله أن يعطلها عطلها فلم تنفع!

بلاء أهل التوحيد تأتي في الأسباب.. نعم نحن مأمورين بالأخذ بالأسباب ولكن لا نعلق قلوبنا بها..! فكل الأسباب الموصلة للأرزاق أياً ما كانت الأرزاق، أرزاق قلوب من محبة ورحمة وخوف ورجاء وتوكل وإخبات وحكمة.... أو أرزاق جوارح (من وظيفة ومال وزوج وذرية وسكن) لا يأتي بها إلا الله ولا يخلقها إلا الله ولا يسوقها إلا الله.

وكما قال العز بن عليه السلام رحمه الله: والله لن يصلوا إلى شيء بغير الله.

فهو سبحانه وبحمده خالق الأسباب ومسبب الأسباب، والناسُ لا حول لهم ولا قوة في تهيئتها والإتيان بها.

- فإذا قام في قلبك إرادة أي عمل أو مطلوب أو مصلحة فاحرص أن تكون التفاتة قلبك الأولى لله قبل الالتفات للأسباب واعلم أنه كلما التفت القلبُ للرب صح فِعل العبد.

والخلاصة:

امشِ بقدميك واسع بجوارحك، خذ بالأسباب ولكن لا تثق بها ولا تركن إليها ولا تعلق قلبك إلا بمسبب الأسباب وخالقها ﷻ، منه ابتدأ الأمر وإليه يرجع. وهذا ليس كلامًا تنظيريًا إنما هو دين وعقيدة وتوحيد نوحّد الله به.

وتطبيقُ هذا الأمر ليس سهلاً فتدريب القلب على الاعتقاد أصعب بكثير من تدريب الجوارح، لذا نحتاج إلى قلب يقِظٍ حيّ، يلتفتُ في الصغيرة قبل الكبيرة إلى ربه. ومتى ما جرّد الإنسان قلبه من الأسباب وتعلق بالله وحده دخل دائرة **من يُرزقون من حيث لا يحتسبون**.

ترتفعُ كفاية الله لهم، فالله حسبهم وكافيهم تأتيهم الدنيا وهي راغمة..! هؤلاء وضعوا أقدامهم في منزلة التوكل وهي أعلى منزلة وأعلى مقام يصل إليه محقق التوحيد.

وما الذي ميّز السبعون ألفاً الذين سيدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب؟ إنه التوكل وقوة التفويض وتعلّق قلوبهم بالله مسبب الأسباب لا بالأسباب.!

نسأل الله أن يجعلنا منهم...

❖ **اسم الله (الظاهر):**

عرّفه النبي ﷺ فقال: الذي ليس فوقه شيء.

وسنشرح هذا الاسم من ناحية العلو، فالله له العلو المطلق.

- علو الذات: الله سبحانه وتعالى عالٍ بذاته على خلقه، فوق كل شيء، مستوٍ على عرشه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾
- علو القدر (الصفات): الله له الكمال المطلق في الصفات وليس فوق كمال صفاته كمال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾يعتقد الموحد أن الله كامل الصفات: أي أنه لا يظلم عباده ولا يُهلك عباده ولا يضيع عباده، حَكَمٌ عدلٌ سبحانه وبحمده، فلكما امتلأ الإنسان بهذا الكمال جَمعَ قلبهُ على ربه وجعل الله محط رجاءه وصمداً يصمد إليه وملجأ يلجأ إليه ويفر إليه في كل وقت.

- إيمانك بأن الله كامل الصفات في مقابله يجب أن تؤمن أن الله يعامل عباده بكمال صفاته.. وكيف يكون هذا؟

مثاله: إذا أذنب العبد فإن الله يحلم عليه فلا يفضحه ولا يعاجله بالعقوبة ولا يهتك ستره من أول مرة، بل لا يزال يرحمه ولا زالت أجهزته كلها تعمل في جسمه، لا زالت أموره ووظيفته وأهله وأولاده بخير.

يعامله الله بحلمه ورحمته وستره ولطفه لعله يتوب، لعله يرجع، قد ييسر له عملاً صالحاً، ييسر له صدقةً، درساً، حجاً، عمرة، فيفتح له الطريق يفتح له أبواباً للطاعة بشيء فيها ومنها يعود، فإذا الأبواب تصبح باباً تلو باب، وإذا به يزيد في الطاعة.

وكلما زاد بالطاعات شعر بذنوبه أكثر وأكثر وانصلح قلبه أكثر وأكثر، واقترب من ربه أكثر وأكثر، فيصبحُ إنساناً شديدُ الحياء من ربه، تكسِرهُ النعمة، وتكسِرهُ التوبة، ويعلم أن كل ما هو فيه من الرزق إنما هو من كريمِ حِلم الله وعظيم ستره عليه فيصدق في توبته ويكرر توبته ويتفقد توبته حتى يرسخ الإيمان في قلبه.

- علو القهر: إذا أراد أمراً أن يكون سيكون: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾قد يتساءل البعض: لماذا لم ينصر الله المسلمين في بقعة ما؟! لماذا لم ينتقم من أعداء الدين الذين طغوا وبغوا وعاثوا فساداً في البلاد والعباد؟!

الجواب: الله قادر على إنفاذ أمره في الحال ولكن بمقتضى حكمته جل جلاله أن أمره وتدبيره لا يكون إلا في الوقت الذي يريد وعلى الصورة التي يريدها هو سبحانه.

والله له سنن في خلقه منها (سنة الإملاء) : يستدرجهم ويُملي لهم ثم إذا أخذهم أخذهم على غرة أخذ عزيز مقتدر.

والموحد على ثقة كاملة ويقين تام بأن الله قادر على أن ينهي كل شيء في غمضة عين ولكن مشيئته مرتبطة بحكمته سبحانه وبحمده ولا يعجل لعجلةِ أحدٍ من خلقه.

❖ **اسم الله (الباطن):**

الذي ليس دونه شيء، فهو أدنى لخلقه وأقرب لعباده من أنفسهم وسنناقش هذا الاسم من ناحية القُرب.

قال ابن القيم رحمه الله: وأما تعبّده باسمه الباطن فأمرٌ يضيقُ نطاق التعبير عن حقيقته ويكلّ اللسان عن وصفه[1].

وحتى يُفهم قرب الله لا بد أن تُفهم المعية، وهي نوعان:

معيّة عامة: يقول تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ مع جميع عباده المؤمن والكافر، والبر والفاجر بعلمه وإحاطته وتدبيره لشؤونهم.

معيةٌ خاصة: وهي للمؤمنين فقط، معيّة الولاية، النصرة، المحبة، التوفيق، الحفظ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾..

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.. ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾..

ويتفاوت المؤمنون في معيتهم الخاصة على حسب قوة الإيمان وتحقيق الوصف.

- فكلما زاد الإيمان وحقق العبد الوصف كان حظه من المعيّة أكثر ومن قُربِ الله أعظم.

مثال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: الوصف الذي يستلزم المعية هو الصبر.

هل كلنا في الصبر سواء؟ لا بل نتفاوت من ثلاثة نواحي:

- قوة الصبر وضعفه.
- سرعته وتأخره.. فرق بين من يصبر عند الصدمة الأولى وبين من يحتاج إلى أيام حتى يستجمع شتات نفسه ويصبر.
- رضا العبد عن ربه.. فرق بين من يحاول أن يرضي نفسه وبين من يمشي مع البلاء كيفما مشى به**!!**

هذه الفوارق تؤثر في المعية والقُرب، كلما زاد الصبر من ناحية قوته وسرعته، ورضا العبد عن ربه كلما اشتدت معية الله له.

وأخصُّ ثمرات المعية: هي المحبة، حُب الله لهذا الصابر ومن أحبه الله لم يعذبه.

ألا يكفيكم يا أهل البلاء، يا أهل المصائب والأوجاع، والدموع والأحزان حب الله لكم إن أنتم صبرتم؟؟

[1]- طريق الهجرتين

○ إذا استشعرت هذا القُرب وامتلأ به قلبك وجعلتَ الله هو مُرادك وغايتك، وهو أعلى ما ترجوه وأعظم ما تُريده ستعرف كيف تتعبد الله باسمه الباطن، ولن تبحث عن قُربٍ أخص وأعظم من قرب الله، ولتيقنت يقيناً لا يخالجه شك أنه مهما اقتربَ منك الخلقُ والبشر، فسيأتي يوم ينتهي فيه الخلق ويبقى الله...

○ هذا ما يعتقده المؤمن الموحد في اسم الله الظاهر الباطن، أن الله عالٍ على خلقه وفوق خلقه ومع علوّه فهو قريب: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾

يسمعُ الأصوات إن ارتفعت وإن انخفضت، يسمع الدعاء والمناجاة، يعلم السرّ وأخفى.

قال ﷺ: **"أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء"**[1].

لما أخذ الصحابة رضوان الله عليهم يكبرون بصوتٍ عال وهم في سفر التفت إليهم رسول الله ﷺ وقال: **"يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدْعونَ أصمَّ ولا غائبًا، إن الذي تدعونه سميعٌ قريب أقربُ إلى أحدكم من عنق راحلته"**[2].

[1]- مسلم (٤٨٢)
[2]- البخاري (٦٣٨٤)

اقترانات أسماء الله الحسنى في سورة الحج

١- <u>(الاقتران الأول):</u>

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٥٨ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ٥٩﴾

(عَلِيمٌ حَلِيمٌ)

جاء في سياق آيات تتحدث عن الهجرة والجهاد والشهادة في سبيل الله، وكلها أعمال جليلة، وطاعات عظيمة كبيرة..

ثم ذكرت الآيات الوعود التي وعدهم الله بها والثواب العظيم الذي ينتظرهم:

* (ليرزقنهم الله رزقًا حسنًا):

رزقٌ لن ينقطع ولن يزول.. هو رزق في الدنيا وفي البرزخ و في الآخرة..

ولا يمكن لعقل أن يتصور ويدرك حجم رزق الله ﷻ!

* (ليدخلنهم مدخلا يرضونه): وهو الجنة نسأل الله من فضله.

ومع كل هذه العبادات الجليلة.. والوعود العظيمة تختم الآية بـ: {وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ}

ومن المعلوم أن صفة الحلم تأتي حين يذنب العبد، فيحلم الله عليه ولا يعاجله بالعقوبة.. ونحن الآن أمام مجاهدين ومهاجرين وشهداء فأي ذنب ارتكبوا حتى يحلم الله عليهم..؟

الجواب..

لا أحد يعلم ما الذي يدور في الصدور، وما الذي أغلقت عليه إلا الله..

حتى لو كان الإنسان في عبادات عظيمة وطاعات كبيرة، قد يقع منه شيءٌ من التقصير أو التفريط أو الزلل..!

قد يرد على قلبه شيء من النزغات والوساوس والخواطر والعجب والرياء.. والله ﷻ مع علمه بهذه الخفايا والواردت إلا أنه يعفو ويتجاوز ولا يُعاجل عبده بالعقوبة بل يُعامل عباده بحلمه.. والحمد لله الذي لم يُلجئنا إلى هذه النزغات والوساوس ورحِم ضعفنا وتقلّبات قلوبنا..

٢- (الاقتران الثاني):

﴿۞ ذَٰلِكَ ۖ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾

(عَفُوٌّ غَفُورٌ)

جاء في سياق الظلم والأذى..

من ظلمك.. من تسلط عليك.. من آذاك لك أن تسترد حقك وتعامله بالمثل.. لاتزيد شيئًا..

لكن الدرجة الأعلى والأكمل والأرفع والأولى هي التي دل عليها هذا الاقتران: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾!

ذكركَ بعفو الله عنك وستره عليك ومغفرته لك..

بالرغم من كثرة خطاياك وإساءاتك وتعديك على أوامره ونواهيه... بالرغم من كل هذا إلا أنه يعاملك بالعفو..!

فعامل عباده بما تُحبّ أن يعاملك به.. فكما تكون للناس يكون الله لك..

اقتران عظيم ينقلك إلى درجة عالية جدًا هنيئًا لمن قدر عليها.

٣- (الاقتران الثالث):

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾﴾

(سَمِيعٌ بَصِيرٌ)

اقتران جاء في سياق بيان قدرة الله.. وذلك بإيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل ثم ختمت الآية بـــ:

(وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)..!

* لا تعتقد أيها العبد بأنك تستطيع أن تختفي عن الله ليلًا أو نهارًا..!

لا تعتقد أن ظلمة الليل تخفيك عن سمعه وبصره..!

فالله سميعٌ لكل الأصوات.. يسمع الجهر والهمس.. والأنين والدبيب.. والقريب والبعيد.. والعرب والعجم..!

فسبحان من وسع سمعه الأصوات..!

* وإنه كما يراك في النور.. ويراك في النهار.. فهو يراك في الظلمة ويراك في الليل..

يراك وإن كان بابك مفتوحًا أو مُغلقًا عليك.. لا يُخفيك عنه شيء.. لا جدران ولا أبواب ولا أقفال..!

يبصرك ويبصر النملة السوداء على الصخرة السوداء في الليلة الظلماء.. فأين تذهب أنت منه..!

فهمك لهذه الأسماء يجعلك شديد المراقبة لربك.. يزرع الحياء في قلبك، فيزيد أدبك معه ﷻ فلا تعصيه بسهولة..!

ومن هنا تزكو نفسك، سُئل رسول الله ﷺ: كيف يزكي العبد نفسه؟ قال: "يعلم أن الله معه أينما كان"[1].

ويقول الحسن بن علي ﷺ: كلما كان العبد أكثر استحضارًا لنظر الله إليه، كان أكثر قربًا من الله..

[1]- رواه أبو داود وحسنه بعض أهل العلم.

وكلما قويت هذه المراقبة عند العبد، صحت فراسته كما كان عمر بن الخطاب الذي قال عنه ابن مسعود رضي الله عنهم أجمعين: "أحسب أن بين عينيه ملكًا يسدده ويرشده" من شدة ما يرى من توفيق الله لعمر..!
وما وصل عمر لذلك إلا لشدة مراقبته لنظر الله في كل شيء..!
"الله ﷻ يَقرُب من قلوب عباده حسب قُربِ قُلوبِ عباده منه"

٤- (الاقتران الرابع):

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢﴾

(العَليُّ الكَبِير)
اقتران جاء في سياق آيات التوحيد.. الله هو الحق.. الله هو المعبود المُستحق وحده أن يُفرد بالعبادة..
ليس فوقه شيء، هو أعلى من كل شيء.. وهو أكبر من كل شيء..
فلا تصمد أيها العبد ولا تتعلق ولا تتوجه ولا تركن إلا إلى العليّ الكبير..
الله العلي له:

- علو الذات:

أن تعتقد بأن الله عالٍ بذاته على خلقه، هو فوق خلقه وفوق كل شيء، مستوٍ على عرشه، علوّه مطلق يرفع
إليه العمل: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾.

- علو القدر (الصفات):

أن تعتقد أن ربك كامل الصفات، له الكمال المطلق في صفاته فليس فوق كماله كمال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾، وأن تملأ قلبك أن الله يعامل عباده بهذا الكمال، فالله لا يظلم عباده ولا يهلك عباده، ولا يُشقي ولا يخذل ولا يضيّع عباده سبحانه وبحمده.
ولتفهم شيئًا من هذا تأمل كيف يعامل الله عبده المُذنب..؟
* يعامله بكمال حلمه فلا يفضحه ولا يهتك ستره من أول مرة، ولا يعاجله بالعقوبة بل يُنظره ويمهله ويؤجله ويكرر له الفرص ليتوب..
* يعامله بكمال رحمته فلا يوقف عنه عطاؤه فما زال الله يرحمه وما زالت كل أجهزة جسمه تعمل، الكلى تعمل، والرئة تعمل، والكبد تعمل، ما زالت أموره في وظيفته وبيته وأولاده تسير لم يتوقف شيء..
* يعامله بكمال حكمته وعلمه وإحسانه ولطفه، فإما أن ييسر عملًا صالحًا يكون سببًا في هدايته، وإما أن يُسمعه كلامًا يوقظ قلبه فيتوب، إما أن يُقدر عليه بلاءً يكون سببًا في عودته وانطراحه بين يديه؛ وإما أن يفتح له أبوابًا للطاعات توقع التوبة في قلبه، ثم إذا أوقع التوبة في قلبه وحببها إليه، سهل له طريقها، وأعانه عليها وفرح بها وأثابه عليها وبدّل سيئاته حسنات ومحاها من صحيفته وكأنها لم تكن.. ولا يقدر على هذا إلا الله، وصدق الله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾

- علو القهر:

أن تعتقد أن الله إذا أرد أمرًا قال له كن فيكون وأن الله غالبٌ على أمره..
وإذا أراد الله لأمر أن يقع، سيقع حتى لو اجتمعت كل الأسباب لمنعه.. بل سيجعل الله فرجًا من الطريق نفسه الذي سُدّ.!
أيها العبد..!
مهما كان صاحب النفوذ والسلطان.. مهما كان له من أعوان وقوة..
يستطيع أن يسجنك.. يعذبك.. يطردك.. يؤذيك..
فالله أكبر منه فلا تخف إلا من الله.. ولا ترجُ إلا الله.. ولا تستَغِث ولا تستعِن ولا تركن إلا إلى الله..!

أراد إخوة يوسف التخلص منه حسدًا لعلو مكانته عند أبيهم..
دبروا.. خططوا.. وكادوا حتى لا تعلوا مكانته.. فكان تدبيرهم هو السبب الذي أوصل يوسف ليصبح عزيز مصر..
علت مكانته ليس عند أبيهم فحسب.. بل عند الناس أجمع..!!
هذا هو علو القهر.. فالله لا يُغالب ولا يُمانع ولا يُعارض ولا يجرؤ أحدٌ أن يحجب أمرًا أراده الله..

٥- (الاقتران الخامس):

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾

(اللَّطِيفُ الخَبِير):
اقترانٌ جاء في سياق إخراج الزرع.. وحتى نُدرك المعنى: لننظر إلى البذرة حين توضع في الأرض..
وتُسقى.. ويصل إليها الماء.. ثم تبدأ بإخراج خيط دقيق، رفيع جدًّا لايكاد يُرى، لو وضعت يدك أو رجلك عليه لتهشم مباشرة..!
ومع ذلك..
يشق هذا الخيط الرفيع الأرض.. يكبر ويكبر.. حتى يكون شجرة لها عروق وساق وأغصان وأوراق وثمر..!
إن فهمنا هذه الصورة عرفنا أن إيجاد الله للأشياء إيجاد لطف.. وتيسيره للأمور تيسير لطف..
الله ﷻ "خبير" بك و بأوضاعك.. وبهمومك وأحزانك..
خبير بقلبك.. بنقاط ضعفك.. يسوق لك مصالحك بلطف من حيث لا تشعر كما الخيط الرفيع الذي لايكاد يرى..!
فيجري الله عليك من الأقدار، وإن كانت مؤلمة وشاقة.. وإن أحزنتك.. وإن أبكتك.. إلا أنه يسوق لك مصلحتك ومنفعتك داخل هذا القدر المؤلم..!
فما من قدر ينزل على العبد إلا وفيه لطف.. فلُطفُ الله لا ينفكّ عن قدره..!
وإذا أراد اللطيف أن يصرف عنك السوء جعلك لا ترى السوء أو جعل السوء لا يعرف لك طريقًا، أو جعلكما تلتقيان وتنصرفان عن بعضكما وما مَسّك منه شيء..!

ومن لطفه أنه إذا أراد أن ينصرك، جعل ما لا يكون سببًا في العادة هو أعظم أسباب نصرك..
لما سُجن يوسف عليه السلام وأراد الله أن يخرجه من السجن، لم يأمر الجدران بأن تدك.. ولا أن يموت الظلمة الذين سجنوه.. أو تنزل بهم عقوبة..!
بل جعل خروجه بـ : رؤيا..!

مجرد رؤيا تتسلل إلى الملك فتؤرقه.. كانت سببًا خفيًّا لطيفًا أنقذ الله بها يوسف عليه السلام..
إنه اللطيف الخبير الذي يوصل لك إحسانه برفق..

٦- (الاقتران السادس):
﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾

(الغنِيُّ الحَمِيد)
جاء في سياق المُلك.. ذكر الله ملكه للسموات والأرض وما فيها.. وذكر غناه عن كل ما في السماوات وما في الأرض ..
وأنه خلقنا وهو مستغنٍ عنا ونحن الفقراء إليه..
خلقنا لا ليستكثر بنا من قوة، أو لأنه محتاج إلينا، بل خلقنا لتكون الأنفاس له، والحركات له، والسكنات له، حياتنا ومماتنا كله له: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾
ومع غناه فهو حميد، محمود بكل لسان وعلى كل فعل في السراء والضراء والشدة والرخاء..
محمود لا يمكن أن يجري في أفعاله خطأ أو يعترضه خطأ..
محمود وهو أهل لهذا الحمد.. إن استحضرنا هذا المعنى الذي ورد في الاقتران زاد التعظيم في قلوبنا..

٧- الاقتران السابع والأخير:
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

(رؤُوفٌ رَّحِيمٌ)
جاء هذا الاقتران في سياق التسخير وأنه من رحمة الله ورأفته أنه سخر هذا الكون للإنسان، وسخر ما في السماوات والأرض لمنفعته..
ولولا ذلك لأصابه الجهد العظيم والمشقة البالغة ولكن لأنه رؤوف رحيم فرحمته أكبر وأعظم وأوسع من أي رحمة..!
وهذا يجعلنا نؤمل بربنا كثيرًا.. ونثق برحمته.. ونحسن الظن به.. ويبقى رجاء الله في قلوبنا أكبر من كل شيء.. وطمعنا في رحمته وعفوه أعظم من ذنوبنا مهما بلغت لأنه العظيم البر الرؤوف الرحيم..!

والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصّالحَات...

(٢)

أسماء الله الحسنى

(الله – الملك – القدّوس – السّلام – المؤمن – المهيمن
العزيز – الجبّار – المتكبر – الخالق – البارئ – المصوّر)

جمع وإعداد :
أ. نجلاء السبيّل

dar-twhid.com
٠٥٤٠٧٠٢٠٠١ - ٢٦١٩٥٦٤

معارج القلب ... إلى حياة الروح

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾[4].

" إن لله تعالى تسعة و تسعون اسمًا مائة إلا واحدًا لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة "[5].

و في رواية أخرى " إن لله تسعة و تسعون اسمًا : مائة إلا واحد لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة و هو وتر يحب الوتر ".

[1]- الإسراء ١١٠
[2]- طه ٨
[3]- الحشر ٢٤
[4]- الأعراف ١٨٠
[5]- متفق عليه

أسماء الله الحسنى الواردة في أواخر سورة الحشر

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾

* بدأت الآيات بلفظ الجلالة: " الله "..

وهو عَلم على الذات الإلهية، هو أعم الأسماء وأعظمها، وتُعرف به جميع الأسماء والصفات وجميعها تدخل في لفظ الجلالة " الله"..

ومعنى اسم الله: هو المألوه أي المعبود، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞ﴾أي: الله المعبود الذي يعبده أهل السماء ويعبده أهل الأرض.. كلُّ المخلوقات من إنس وجن وجبال وأشجار ورياح.. كلهم يتألهون الله ويعبدونه سبحانه ويخضعون له..

- سأل رسول ﷺ أبا ذر عن الشمس لما غابت فقال له: " يَا أَبَا ذَرّ أَتَدْرِي أَيْنَ تَغْرُب الشَّمْس؟" قُلْت: اللَّه وَرَسُوله أَعْلَم، قَالَ ﷺ: "فَإِنَّهَا تَذْهَب حَتَّى تَسْجُد تَحْت الْعَرْش"[1]..!

هذه الشمس.. المخلوق العظيم والآية المعجزة ماهي إلا مخلوق مسخر مأمور.. فإذا غربت تسجد تحت العرش خاضعة ذليلة مستسلمة لكبرياء الله وعظمته..!

- الملائكة وهم أعظم المخلوقات وأقربهم لله.. لا يعصون الله ما أمرهم.. ما خلقهم الله إلا لطاعته..

ومع عظم شأنهم لما يتكلم الله بالوحي ويأمر بأي أمر.. ماذا يصيب ملائكة السماء..!

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنها سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك"[2]

تخضع بأجنحتها وتنزل وتنخفض تعظيمًا لله.. وكأن هذا الصوت سلسلة على صفوان - أي سلسلة حديد على حجر أملس- ينفذهم.. يُدخل الفزع على قلوبهم ثم يغمى عليهم ولا يعلمون بأي وحي تكلم الله..!!

[1] - رواه البخاري.
[2] - رواه البخاري.

وإذا تكلم الله ﷻ بالوحي أخذت السموات منهم رعدة أو رجفة خوفًا من الله فإذا سمع ذلك أهل السموات صُعقوا وخرّوا سجدًا..! ثم يُزال عنهم.. فإذا زال عنهم بدؤوا يتساءلون.. فتقول الملائكة: ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ وأول من يرفع رأسه من الفزع هو جبريل ﷺ فيأخذ الوحي ثم يمر على بقية الملائكة حتى ينتهي بالوحي إلى حيث أراد الله.. هذا هو حال الملائكة..! لذلك استنكر الله على البشر: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾.. ما الذي دهاكم..! ما الذي أصابكم حتى نقص تعظيم الله في قلوبكم..!

* يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾

آية من آيات التعظيم القوية..!

لو أن كلَّ شجرة في الكرة الأرضية تحولت إلى أقلام.. وكان البحر في الكرة الأرضية ومعه سبعة أبحر وهي المداد التي تكتب به الأقلام.. لتكسرت الأقلام وما انتهت ولا نفدت كلمات الله..!!

لذلك غضب الرسول ﷺ من الأعرابي وقال له: ويحك أتدري ما الله..!!

والله ما قدرنا الله حق قدره.. ولا عظمنا الله حق تعظيمه.. لأننا ما عرفناه حق معرفته..

ولا يمكن للعبد أن ينزل قلبه في مقام التعظيم - وهي منزلة من منازل إياك نعبد وإياك نستعين- إلا إذا عرف الله..

إذا أردنا التعظيم لابد من العودة إلى معرفة الله ﷻ..

* <u>"عالمُ الغيب والشهادة":</u>

أي يعلم السر والعلانية.. أحاط علمه بكل شيء.. أحاط علمه بالظواهر والبواطن.. بالعالم العلوي والعالم السفلي.. بالبر والبحر.. بالجبال والكهوف.. بالماضي والمستقبل..

أحاط علمه حتى بدقائق الخلق: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾

لايعزب عنه مثقال ذرة: سواء كانت الذرة بحجم صغار النمل أو بمقدار الهبابة من الغبار.. لا تخفى ولا تحجب عن الله..!!

أيُّ ورقة.. وكل ورقة.. أين سقطت..؟ وكيف سقطت..؟ وعلى أي أرض سقطت..؟ وأي رياح هبت فيها..!!

يعلم سبحانه تفاصيل خلقة وقطرات البحر فالبحر الأحمر والبحر المتوسط والمحيطات.. وقطرات الماء في الأنهار.. والمحيطات.. وكم قطرة تبخرت..؟ وكم قطرة بقيت وتكونت..؟!!

يعلم تفاصيل خلق البعوضة.. مخها وعروقها ودمها.. أين طارت..؟ وكم لدغت..؟ وكم ستلدغ وكم وكم..!!

فإذا كان الله يعلم تفاصيل خلقه.. ويعلم كل هذه الدقائق فلن تُحجب عنه يا ابن آدم..!

<u>من آثار التعبد بهذا الاسم:</u>

١- يستحي العبد من نظر الله له، ويستحي أن يجعل الله أهون الناظرين إليه؛ بل يجل نظر الله إليه..!

فإياك أن يراك الله في مكان أو على وضع لا يحبه سبحانه فتسقط من عينه.. ومن سقط من عين الله فلن يرفعه أحد - إلا أن يتداركه الله برحمته- لأن الذنوب تسقط بأصحابها، وتذهب بكرامتهم، ويرى من تسلط الخلق عليه وعدم احترامهم له: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾

٢- يستشعر الأمان مع الله فيزداد خوفه، ومن أكثر الآيات التي تخيفه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ولفظ الخيانة مخيف؛ لأن أكثر ما يهم الصادق في سيره إلى الله والمتعبد لله بأسمائه وصفاته أن لا يظهر أمام ربه خائنًا ولا كذابًا ولا متلونًا ولو للحظة أو طرفة عين..!

لا يريد أن يكون ممن قال الله فيهم: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾..!

يخاف من الخيانة بل يكره هذا اللفظ لأنه يعلم أن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾

وأتت هذه الصفة على صيغة مبالغة، لأن الله لا يحب من كثرت خيانته وعظمت.. ولا يحب من زادت ذنوبه وتجاوزاته..

وكفى بهذه قاصمة لظهر العبد أن يعيش في دنياه وهم يعلم أن الله لايحبه لأنه كثير الخيانة..!!

هل يستطيع الإنسان أن يعبد الله تحت هذا الخوف فقط..؟

لا بل يستحيل؛ لأن الخوف حين يستولي على العبد يحبط ولا يصبح لديه بصيص أمل وسيقنط من رحمة ربه، ونحن بشر بين الحين والآخر نخطئ ونقع ونعصي.. فيأتي الرجاء وتأتي المحبة التي هي من ركائز العبودية مع الخوف؛ ذلك الله ﷻ له صفات جلال وجمال،وصفات الجلال توقع في قلب العبد الخوف والتعظيم والرهبة والوجل، وصفات الجمال توقع في قلب العبد الحب والرجاء وحسن الظن والتعلق بالله والبهجة والسرور واللذة والشوق.. فيسير العبد إلى ربه بحب وشوق، فتصبح العلاقة بين العبد وربه: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ هذا الحب إن قام بين العبد وربه عاش النعيم كله.. والحياة كلها.. ولا يضره ماذا فقد من الدنيا لأنه فاز بأعظم مطلوب وهو حب ربه..!

وانظر لعظمة القرآن بعدما أن خوّف بالله: فلفظ الجلالة " الله" يثير الخوف والوجل، و"عالم الغيب والشهادة": تثير المراقبة واليقظة.. جاء بعدها:

* "الرحمن الرحيم": حتى لاييأس العبد ويظلُّ دائرًا بين الخوف والرجاء في معاملته مع ربه..

يقول ابن عباس ﷺ: اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر "أي أحدهما أكثر رحمة"..

الرحمن:

اسم يدل على رحمة الله الواسعة التي يدخل تحتها جميع الخلائق: الجن والإنس.. المؤمن والكافر.. البرّ والفاجر.. وما من مخلوق إلا ويتقلب في رحمة الله الواسعة..

- العاصي وهو مقيم على معصيته فإن الله يرحمه رغم قدرته عليه فتراه يتنفس ويتحرك..

- المطر هو صورة من صور رحمة الله إذا نزل لم يخص أحدًا إنما ينزل على البرّ والفاجر..

- الشمس تشرق على الجميع المؤمن والكافر..

كل هذا من صور رحمة الله تعالى الواسعة التي لا يقطعها عن خلقه في الدنيا، فيعطي الكافر رغم كفر.. والفاسق على فسقه.. والعاصي على معصيته.. وكل هذا عطاء ربوبية مبني على رحمة الله الواسعة: ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾

الرحيم:

﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ رحمة خاصة واصلة مستمرة لا تنقطع عن عباده المؤمنين..

المؤمن في حياته مرحوم.. عند موته مرحوم.. وفي قبره.. وفي حشره.. وعلى الصراط.. وعند دخوله الجنة، قال رسول الله ﷺ: " لا يدخل أحدكم الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله..! قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته"[1].

رحمة مستمرة مع المؤمن في حياته أو بعد مماته، بل إن المؤمن مرحوم حتى في الأقدار التي يجريها عليه ربه، وإن كانت تلك الأقدار مؤلمة.. قاسية.. وشاقّة تبقى هذه الأقدار هي عين الرحمة لأن الله أرحم بعباده من أنفسهم ورحمة الله لا تنفكّ عن قدره؛ لذلك فكل قدر ينزل فيه رحمة وفيه لطف، وفي الحديث يقول النبي ﷺ: " إن الله جعل الرحمة في مائة جزء وأمسك عنده تسعة وتسعين جزءًا"[2].

كل الرحمة التي يتراحم بها الخلق فيما بينهم إنما هي جزء من مائة جزء وأمسك الله عنده تسعة وتسعين جزءًا يرحم بها عباده المؤمنين يوم القيامة.

[1]- رواه البخاري.
[2]- رواه البخاري.

الأثر المترتب للإيمان بهذين الاسمين:

١- إذا عرف العبد ربه باسمه " الرحمن الرحيم" جعله ذلك يؤمل في ربه كثيرًا وينظر إليه بعين الرجاء ويحسن الظن ويطمع في ربه..

* الحجاج بن يوسف كم قتل.. وكم عذب من المسلمين لكنه لما عاين الموت والكل حوله ينظرون ماذا سيفعل به الله..!

قال وهو يحتضر كلمة فيها ما فيها من قوة الرجاء وحسن الظن بالله كثيرًا: يا رب ارحمني فإنهم يظنون أنك لا تفعل..!!

تعلق برحمة الله.. دخل على ربه من أوسع الأبواب.. باب الرحمة..!

* كثير من الصالحين إذا حان وقت الاختضار قال لمن حوله: ذكروني برحمة الله..!

عرفوا رحمة الله.. أرادوا أن يدخلوا من بابها..

وكل من عرف رحمة الله تعلق بها ووثق بأن الله لن يخذله.. ولن يضيعه.. ولن يسلمه.. مهما فعل وعصى وشرد ثم عاد وتاب لن يطرده بل سيرحمه لأن الله كتب على نفسه الرحمة، وفي الحديث القدسيّ: " إن رحمتي سبقت غضبي"[١]، وفي رواية: " ورحمتي غلبت غضبي".

٢- يطلب العبد من ربه الرحمة ويكرر الطلب بذلّ وافتقار وانكسار..

* أيوب عليه السلام عانى ثمانية عشر سنة من المرض.. فقد كل أمواله. وأبنائه.. لم يبقَ معه سوى زوجته..

عملت في البيوت حتى تطعمه.. بعد صبر طويل طلب من ربه بذلّ وافتقار وانكسار ربّ: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ طلب الرحمة.. فرحمه الله..

اطلب رحمة الله بفقر وذلّ وانكسار..

قل: يا من يملك خزائن الرحمة.. يا من وسعت رحمته كل شيء.. ارحم من لا شيء معه..!

قل: يا رب تغمّدني برحمتك - والغمد هو البيت الذي يدخل فيه السيف فيغطيه تمامًا - كذلك أنت؛ اسأل الله أن يتغمدك أي يغطيك برحمته.. ومن تغمده الله برحمته فلن تضيق عليه الدنيا.. وإن ضاقت؛ فإن الله يوسع له ويفسح له..

كل هذا من آثار رحمة الله بعبده لأنه طلبها من ربه وكرر الطلب بذلّ وانكسار والله عز وجل عند المنكسرة قلوبهم سرعان ما يستجيب لهم ويفرج عنهم..

---

[١]- رواه البخاري.

٣- كل من آمن بهذين الاسمين ازدادت رحمته بمن حوله.. وبمن تحت يديه..

وكل من رحم الخلائق كان مؤهلًا لِأَن يرحمه الله تعالى، وفي الحديث: " الراحمون يرحمهم الرحمن"[١]، وفي حديث آخر: "إنما يرحم الله من عباده الرحماء"[٢]، أن تكون رحيمًا بمن حولك علامة كاشفة تبيّن مدى بركة العبد..

بقدر ما يُجري الله من نفع الناس على يدي العبد تُعرف بركته.. أينما تضعه لا يأتي إلا بخير.. ولا يكون منه إلا الخير.. ولا يقول إلا الخير..! نفع لا يأتي إلا من قلبٍ فاض بالرحمة..

* ليست رحمةً مع الخلق فقط؛ بل رحمة حتى مع البهائم، قال رسول الله ﷺ: " من رحم ولو ذبيحة عصفور رحمه الله يوم القيامة"[٣]، وفي حديث آخر قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: " جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعها إلى فِيهَا تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها فشقّت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، تقول السيدة عائشة: فأعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: " إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها من النار"[٤].

* جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: " يا رسول الله إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها، فقال له: "والشاة إن رحمتها يرحمك الله"[٥].

رحمة مع البهائم.. فكيف بالرحمة مع البشر..!!

إذا رحمت سيرحمك الله.. إذا رحمت ستجد لطف الله يحفّك أيما توجهت..

ستُفتح لك أبواب لم تخطر لك على بال لأن خزائن الله ملأى.. وكل هذا من آثار رحمة الله بعبده..

ثمرةٌ لا يعرفها إلا من ذاقها وجربها.. فإياك أن تحرم نفسك من رحمة الله فالنبي ﷺ يقول: " من لا يرحم لا يُرحم"[٦].

المعاملة مع الله ربح.. فلا تغلق باب الرحمة على نفسك..!

٤- يتعلم العبد كيف يرحم نفسه:

* من أعظم ما يرحم العبد به نفسه أن يتعلم كيف يرجع إلى ربه ويتوب..

ابن القيّم رحمه الله إذا وجد في نفسه التفاتًا إلى غير الله تلا عليها: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ ثم يكرر عليها: ارجعي ارجعي..!

ومعنى هذا: يا نفس لن تطمئنِّي وتسْعدِي.. لن يطيب لك عيش.. لن تُرحمي إلا إذا رجعتِ فارجعي إلى ربك..!

---

[١]- رواه البخاري في الأدب المفرد.
[٢]- رواه البخاري.
[٣]- رواه البخاري.
[٤]- أخرجه مسلم.
[٥]- رواه البخاري.
[٦]- متفق عليه.

لا تطيلي الشرود والجفاء والبعد.. فإن عدتِّ رحمك الله..!

* مما يرحم العبد به نفسه أيضًا أن يكثر من الحسنات الماحية، قال ابن تيمية رحمه الله: " والكيّس من لا يزال يأتي بالحسنات ما يمحو به السيئات"..

لا تحصر نفسك في دائرة المعصية.. لا تضيّق على نفسك والله قد جعل لك مخرجًا وهو الحسنات الماحية، يقول الرسول ﷺ: " وأتبع الحسنة السيئة تمحُها"[1] والله يقول: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾..

عوّد نفسك على الخير..

* من رحمة العبد بنفسه أن يتلمس عيوبه ويعترف بها ويصلحها..

هذا حق نفسك عليك أن تصلحها.. ترتقي بها.. لا ترضى لها لانقص.. تسدّ ثغراتها.. تغيّرها لأن الله ﷻ مدح من فعل ذلك: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾، وفي الحديث: " إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها"[2].

* من رحمتك بنفسك أن لا تعيش حياتك سبهللًا؛ وإنما تصنع لنفسك هدفًا تصل إليه.. تنفع به نفسك وأمتك..

وأنت في طريقك لتحديد الهدف:

- ثق برحمة الله واعلم أن الرحمة لا يملكها إلا الله، فلا يستطيع أن يغلقها عليك أحد من البشر؛ لذلك لا تتردد ولا تُكثر من الالتفات لأن من كثُر التفاته ضعُف سيره، وقد قال السلف: " من فُتح له باب الرحمة فليلجه فإنك لا تعلم متى يغلق عليك".

- تدَرَّج لأن من سنة الله التدرج: خلق الله السموات والأرض في ستة أيام وهو قادر على أن يخلقها في طرفة عين؛ حتى تعلم أن الله لا يعجل لعجلة أحد من خلقه.. ولا يعطي الأرزاق والمنح دفعة واحدة وإنما يعطيها شيئًا فشيئًا..

وهذا من تربية الله لعباده.. فإذا كنت سائرًا مستعينًا بالله على الطريق ستصل..!

- تذكر وأنت في طريقك لا بد من كثرة السقطات.. لا بد من الفشل.. لك أقران سيحصل بينك وبينهم أثرة وظلم وأذية..

إياك من الهزيمة.ز إياك من الضعف.. إياك من الانسحاب.. لأن ذلك من الابتلاءات التي يجعلها الله في طريقك ليختبر ثباتك وصبرك.. وإذا أرادك الله لأمر هيأك له.. وهذه الابتلاءات من التهيئة..

والله إذا أراد بعبد خيرًا قلّبه في البلاء حتى يشتدّ عوده.. فاصبر واثبت وإياك من الانسحاب..!

- اصدق مع الله.. لأن مدار الأمر كله قائم على الصدق..

إذا صدق العبد مع ربه في أي أمر وُفّق له لأن الصدق يخدم صاحبه..

---

[1]- رواه الترمذي وقال حديث حسن.

[2]- صححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

من كان صادقًا في طلب الصلاح أصلحه الله..

من كان صادقًا في طلب الهداية هداه الله..

من كان صادقًا في طلب العلم علمه الله..

وكلما صدقت رزقك الله وأعانك وسخر لك من حولك ومن يأخذ بيدك وفتح لك الأبواب..

- أصلِح ما بينك وبين الله يُصلح الله ما بينك وبين الخلق.. أي اهتم بعبادتك..

اسم الله "الملك":

اسم الله الملك: اسم يدل على العظمة والمُلك..

والمَلك هو الذي حاز الشيء وتملكه ملكًا حقيقيًّا.

وملك الله ملك حقيقي لا ينازعه فيه أحد: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ﴾

هو المالك لكل شيء.. المتصرف في كل شيء..له القدرة المطلقة على كل شيء..

مُلكٌ تصاحبه قدرة؛ لأنه لا يصحُّ أن يكون ملكًا إلا إذا كان قادرًا: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾

وملك الله لا ينقص ولا يزول ولا ينتهي، بخلاف ملك المخلوقات الذي سينتهي ويزولُ حتمًا..

هذا هارون الرشيد كان يرى السحاب ويقول: "أمطري حيث شئت؛ فسيأتيني خراجك"..!

وفي هذا دلالة على سعة ملكه.. ولكن هل دام هذا المُلك..؟

في ساعة الاحتضار قال: "اللهم يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه"..

كل ملوك الدنيا يزول ملكهم...!!

وحتى نفهم ونعيش مع اسم الله الملك.. لنطلق قلوبنا وندعها تنساب وتنظر في ملكوت السموات والأرض..

وتتجاوزها سماءً بعد سماء... وما بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام..!

وكثافة كل سماء مسيرة خمسمائة عام..!

أما السماء السابعة فوقها بحر ما بين أسفله وأعلاه مسيرة خمسمائة عام و فوق ذلك العرش، و**"الله"** مستو على عرشه ﷻ..!

مَلِكٌ عَظيمٌ قَاهر.. مستوٍ على عرشه.. بائِن عن مخلوقاته.. له كرسيٌّ وله عرش..

و ماهو الكرسي..؟!!

(وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ)

الكرسي على الصحيح كما ثبتت بذلك الآثار وفسره الصحابه ﷺ أنه موضع قدمي الرب ﷻ..!

هذا الكرسي ما وصفه..؟!!

وسع السموات والأرض.. والسموات والأرض بالنسبة إلى الكرسي كحلقة ألقيت في أرضٍ فلاة..!

ماذا تمثل هذه الحلقة في الصحراء الواسعة..!

لاشيء..!

أما العرش فهو سرير الملك..

والله مستو فوق عرشه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾

هذا العرش هو أعظم وأكبر مخلوقات الله.. هو سقف المخلوقات.. يحمله ثمانية من الملائكة: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾، أحد هؤلاء الملائكة كما وصفه رسول الله ﷺ: "قدماه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش ومابين شحمة أذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة عام..!

هذا وصف ملك من الملائكة الذين يحملون العرش..!

ياترى ما هو حجم هذا العرش.. ما طوله.. وما عرضه..!!

والله ﷻ الملك مستو على عرشه.. يدبر أمور ملكه.. يصرف الأقدار.. يأمر بما يشاء.. وينهى عما يشاء.. كل شيء بيده:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾..

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾

لا يحصل شيء إلا بأمره.. ملِكٌ نازل.. وملِكٌ صاعد..!

يعز أقوامًا ويذل آخرين.. يشفي هذا.. ويمرض هذا.. يُعطي هذا.. ويمنع آخر.. ينزع ملكًا.. ويعطي ملكًا..!

ولا ينازعه في ملكه أحد...!

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾

ويظهر هذا المُلك واضحًا جليًّا يوم القيامة؛ جاء حبرٌ إلى ﷺ فقال: "يا محمد..! أو يا أبا القاسم..! إنَّ الله تعالى يُمسِك السمواتِ يومَ القيامة على إِصبعٍ، والأرضِينَ على إصبعٍ، والجبالَ والشجرَ على إِصبعٍ، والماءَ والثَّرى على إِصبَعٍ، وسائرَ الخلقِ على إِصبَعٍ، ثم يهزُّهنَّ فيقول: أنا المِلِك، أنا المِلِكُ، فضحِكَ رسولُ اللهِ ﷺ تعجُّبًا مما قال الحَبرُ تصديقًا له، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾"[1].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "يطوي الله ﷻ السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون"[2]...!

فهل يجيبه أحد من طغاة الأرض وفراعنتها..!

كلا؛ بل الجميع خاشعون صامتون: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾

أمام هذا المشهد المهيب.. المشهد العظيم المخيف.. مشهدٌ فيه من الجلال الشيء العظيم..

يتبادر لذهن الانسان ماذا سيفعل الظلمة والجبابرة في ذاك اليوم..!

يوم ينادي الله ﷻ لمن الملك اليوم..؟ فلا يجيبه أحد..!

فيجيب الله على نفسه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾

الآثار التعبدية لاسم الله الملك:

١- يغرس في قلب العبد التوحيد، ويزيد من تعظيم الله ويرسخه بقوة..

من الأسماء التي ترفع درجة التوكل واليقين وتزيد من قوة القلب: "والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف"، هذه القوة من أين أتت..؟

لأنه يعلم أنه يتعامل مع الملك، يعلم يقينًا أنه أمام ملك لا ينازعه في ملكه أحد..!

خزائن السموات كلها بيده.. خزائن الأرض كلها بيده.. كل شيء بيده وفي ملكه..!

الأقوياء بيده.. الضعفاء بيده.. الملوك بيده.. الرؤساء بيده..

الجن والسحرة والمشعوذين بيده.. الماكرين والظلمة والطغاة والقتلة بيده.. لا يستطيع أحدٌ أن يخرج عن ملكه..!

وأول ما يثيره اسم الملك في القلب: إياك أن تخاف من مخلوق أكثر من خوفك من الله ﷻ..!

---

[1]- رواه مسلم.
[2]- رواه مسلم.

هذه المعرفة تجعل الإنسان يصحح من نظرته للخلق.. فيتحرر من كل خوف و أسرٍ و ذل للخلق..

مهما بلغوا.. ومهما ملكوا من دنيا ومناصب وسلطة ونفوذ فالله أملك لما يملكونه من ملكهم..!

وأمر الله أسرع إلى ما يملكونه من أمرهم..!

حتى لومكروا ودبروا وخططوا هم في قبضة الملك..!

الله هو الملك وهم عَبيدٌ للملك..!

وهكذا يمتلئ القلب توحيدًا وذلًّا وخضوعًا لله.. وتسقط كل البشر من حساباتك..

وتركن إلى الملك الذي يملك نواصي الخلق..

رسالة لكل من ظُلم في هذه الدنيا، والمظلومون كثر..

لا تأخذ حقك الآن.. ستُنصف غدًا، إذا وقفت بين يدي الملك..!

الكل سيموت.. الظالم سيموت.. والمظلوم سيموت.. والموعد الله..!

اعملوا ما شئتم فإنا صابرون.. وجوروا فإنا مستجيرون..

واظلموا فإنا إلى الله متظلمون.. وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون..!

٢- تصورك لهذا الملك العظيم: الكرسي.. العرش.. الملائكة.. حملة العرش.. تدبير الأمور وتصريف الأقدار..!

يجعلك تثق وتتيقن أن الذي دبر أمر كل هذا الخلق قادر أن يدبر أمرك..!

لا يُعجزه أن يصلح ابنك.. أو يقضي دينك.. أو يشفي مريضك.. أو يرد عليك غائبك الذي فقدت.. أو يرد كيد من كاد لك..!

من عرف ملك الله.. وعرف قدرة الله المصاحبة لملكه أيقن تمامًا أنه لا مستحيل..!

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾

لو أراد الملك لشيء أن يتغير سيتغير.. ولو أراد لشيء أن ينصلح سينصلح.. خاصة فيما يتعلق بأمور القلوب والحب والبغض والكره والإقبال والإدبار لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، قلوبنا وقلوب من أمامنا ليست ملكًا لنا، بل هي ملك لله..!

اسم الملك من الأسماء القوية جدًا والمؤثرة جدًا.. من الأسماء التي تغير حياة الإنسان كثيرًا..

٣- لو أن ملكًا من ملوك الدنيا رآك مقبلًا عليه، قد تركت كل ملوك الدنيا وقصدته هو سيستحي أن يردك.. سيستحي أن لا يُعطيك من مروؤته وحشمته وكرمه.. والملوك لهم صفات سيادة وأهمها الكرم..

لن يردك وهو من ملوك الدنيا..!

فكيف بالملك ﷻ.. ملك السموات والأرض سبحانه وبحمده..؟!

عبد يطرق بابه.. يطلب فضله.. يحط رحاله عند بابه.. ثم يتذلل ويتعلق وينطرح..

يا دائم المعروف.. يا قديم الإحسان.. كيف سيرُدُّ هذا العبد..؟!

وكيف ستكون عطية الملك له..؟؟

يقولون: "**عطايا الملوك تأتي مضمّخة بِطِيبهم ويعطون بقدْرهم لا بقدر من سألهم**"..!

وحتى نستشعر هذا المعنى ونحن نطلب من الملك الذي خزائنه لاتنفد، يقول الله تعالى في الحديث القدسي: "يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجرِ قلب واحد منكم ما نقص من ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر..."[١]

فادعُ واطلب بهمة عالية، كما فعل سليمان عليه السلام: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي﴾

وكما علمنا رسولنا الكريم ﷺ: "إذا سألتم الله الجنة، فاسألوه الفردوس"[٢]

[١]- رواه مسلم.
[٢]- رواه البخاري.

اسم الله "القدوس":

اسم من أسماء الله الحسنى ورد في الكتاب والسنة..

له علاقة وثيقة باسم الله الملك؛ ولم يرد إلا بعده..

<u>في القرآن :</u>

ورد في سورتي الحشر والجمعة:

في سورة الحشر قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

وفي سورة الجمعة قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾

<u>وفي السنة :</u>

كان النبي ﷺ إذا انتهى من وتره قال: "سبحان الملك القدوس سبحان الملك القدوس سبحان الملك القدوس"

المعنى اللغوي لاسم الله "القدوس":

قَدَسَ: في لغة العرب تدور بين معنين :

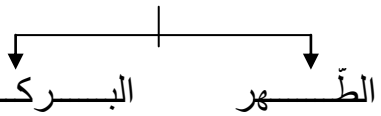

<u>المعنى الأول "الطُّهر ":</u>

العرب يسمون السفينة في عرض البحر "القادس"

لأن المياه والأمواج تلطمها، وتتتابع عليها فتطَهِّرها، ثم تأتي موجة أخرى فتطهرها وهكذا..

بمعنى طُهر بعد طُهر فلا يمكن أن يعلق بها شيء من الدنس..

وقد قالت الملائكة لله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

نقدس لك بمعنى: نتطهر لك

نطهر أنفسنا حتى نليق بقربك وجوارك.. ولن يجاور الله في جنته إلا من كان أهلًا لهذا الجوار..

المعنى الثاني "البركة":

قال تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾

المقدسة بمعنى: الأرض المباركة

القدوس: هو منتهى التنزه والطهر عن كل عيب وعن كل نقص.. له كمال الطهر.. وكمال البركة..

فهو البالغ للكمال الأكمل في كل شيء..

الآثار التعبدية لهذا لاسم الله "القدوس":

١- أنت تحتاج لأن تتطهر وتتقدس وتترقى حتى تصلح لمجاورة الله ﷻ كما قالت الملائكة:

(ونقدس لك): أي نطهر أنفسنا لك حتى نليق بجوارك..

ابحث عن كل ما يطهرك.. ابحث عن المكفرات:

- الوضوء يطهرك.. كلما حافظت على الوضوء طهرك، قال رسول الله ﷺ: "من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره"[١].

- الصلاة تطهرك وكلما أكثرت زاد طهرك، ورد أنّ النَّبيَّ ﷺ كان يقول: "إن كُلَّ صلاةٍ تَحُطُّ ما بيْنَ يدَيْهَا مِنْ خَطِيئَةٍ"[٢]؛ وقال ﷺ: "أرَأَيْتَ لَوْ كَانَ بِفِنَاءِ أَحَدِكُمْ نَهَرٌ يَجْرِي يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْم خَمْسَ مَرَّاتٍ، مَا كَانَ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ؟ قَالُوا: لَا شَيْءَ، قَالَ: "إِنَّ الصَّلَوَاتِ تُذْهِبُ الذُّنُوبَ كَمَا يُذْهِبُ الْمَاءُ الدَّرَنَ"[٣].

- الصدقة تطهرك؛ كقصة ذلك الرجل الذي جامع زوجته في نهار رمضان، فدخل على النبي وقال: يارسول الله هلكت، رد عليه النبي ﷺ:" تصدق"[٤] قبل أن يعرف ما الذنب الذي ارتكبه..!
أخذ أهل العلم من هذا: أنه مهما كان ذنبك وجرمك، فالصدقة تطفئ غضب الرب.. تطفئ الخطيئة وهي من أعظم المطهرات والحسنات الماحية.. وكلما زادت الصدقة زاد الطهر..!

- العمرة تطهرك: "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما"[٥].

---

[١]- رواه مسلم.
[٢]- صححه الألباني وقال حديث حسن صحيح.
[٣]- رواه الألباني في السلسلة الصحيحة.
[٤]- رواه البخاري.
[٥]- رواه البخاري.

- البر يكفر الكبائر.
- الحج يهدم ما كان قبله.
- التوبة تطهرك بل تغسلك غسلًا..

و الخلاصة:

من أراد أن يتعبد الله باسمه القدوس، فليبحث عن طهر بعد طهر حتى يليق بمجاورة القدوس ﷻ.

اسم الله "السلام":

ورد مرة واحدة في القرآن في سورة الحشر..

السلام لفظٌ عذبٌ جميل.. يدل على السلام والاطمئنان والسلامة..

فالله ﷻ هو السلام.. وهو واهب السلام.. وهو الذي يمنح عباده السلام في الدنيا والآخرة..

قال العلماء أن هذا الاسم في حق الله ﷻ يدور حول ثلاث معانٍ:

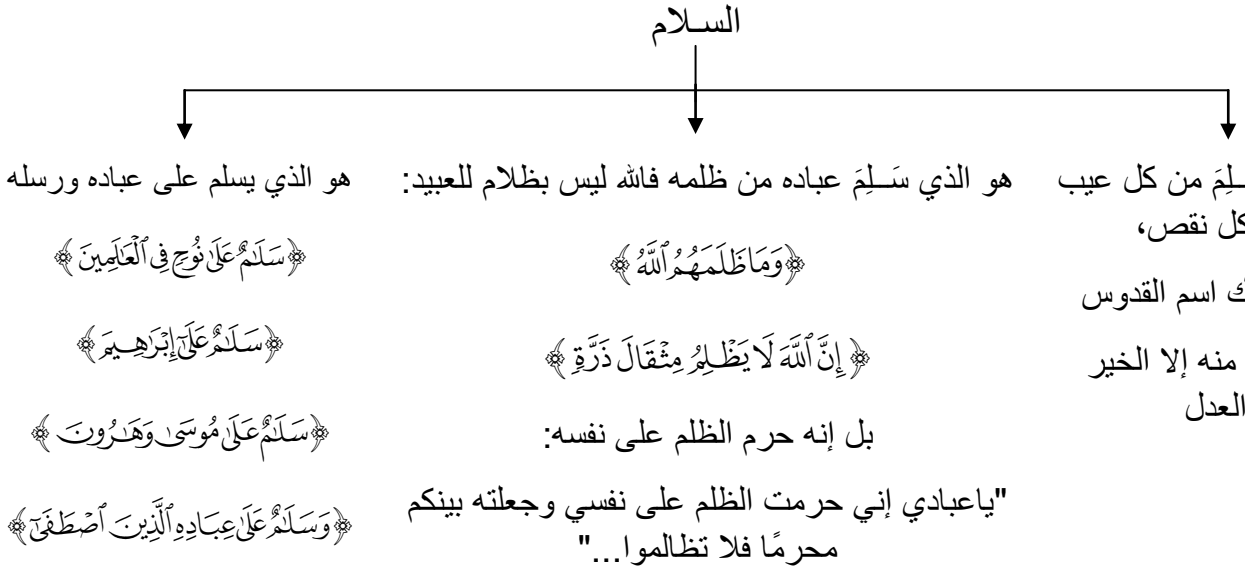

وقد أخبرنا الله ﷻ أن الملائكة حين تقبض أرواح المؤمنين تسلم عليهم، وهذا السلام بمثابة البشارة لهم والطمأنينة لهم لحظة قبض الروح: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ﴾، كذلك تسلّم عليهم الملائكة إذا دخلوا الجنة:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾

وقال تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم﴾

أيضًا..

هناك سلام ينتظره المؤمنون و يشتاقون له.. يحنّون إلى سماعه.. يخافون أن يحرموا منه..

ألا وهو سلام الله ﷻ على أهل الجنة: ﴿سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾

هذا يوم أن يستزيرهم ربهم.. تقرب لهم الركائب والنجائب.. ثم ينقلون إلى وادٍ أفيح واسع فسيح.. كثبانه المسك..

فإذا وصلوا يناديهم ربهم: عبادي هل رضيتم..؟

فيقولون: وما لنا لا نرضى يارب..؟

فيقول لهم: هل لكم من حاجة..؟ فيقولون: نريد أن نرى وجهك يا رب..!

فإذا كشف الله لهم عن وجهه نسي أهل الجنة ماكانوا فيه من النعيم..!

هذا المشهد.. وهذه اللحظة..

يوم أن يسلم الله على عباده ثم يكشف عن وجهه.. يجعلنا نجتهد ونبذل ونصبر ونصابر حتى نصل..!

الثمنُ غالٍ جدًّا.. **ومن عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل..!**

بل إن هذا الشرف.. وهذا الرزق.. وهو سلام الله على عباده.. قد يرزقه العبد وهو ما زال يمشي على الأرض..!

* رُزقت به أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وهي امرأة ادخرها الله لنبيه..!

يوم أن نزل جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ وقال له: يا محمد أخبر خديجة وقل لها: "إن ربك يقرؤك السلام"

فقالت: إن الله هو السلام ومنه السلام ، وعلى جبريل وعليك السلام يا رسول الله..

أي رزقٍ رُزقت به..!

ولو لم تكن خديجة أهل لهذا الرزق لم ترزق..!

لأن "**التوفيق على قدر القربى**" وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده..

الآثار التعبدية لاسم الله "السلام":

هذا الاسم بالذات نستطيع أن ننزل عليه قاعدة ابن القيم: **"من تعلق بصفة من صفات الله أدخلته هذه الصفة على ربه"**، كيف..؟

١- إذا عرف العبد أن السلام هو الذي سَلِم من كل عيب ونقص وسوء، أصبح حريصًا على سلامة قلبه من الشرك، البدع، الشبهات، الشهوات، الأضغان، ومن هذه اللوثات والأمراض الكثيرة لأنه من أكبر المصائب أن تعيش في هذه الدنيا بقلب خرب..!

ما علاقة القلب باسم الله السلام؟

القاعدة تقول : **"لن تنال شيئا في الظاهر حتى تربي عليه نفسك في الباطن"**

من أراد أن يتخلق ويصبح له حظ ونصيب من اسم الله السلام يجب أن يعيش بداخله وباطنه هذا السلام..

سلامة قلبٍ وصدر.. سلام من كل اللوثات..!

٢- إذا علم العبد أن من معاني هذا الاسم أن الله يسلم على عباده، فإنه يتعبد لله بكثرة إفشاء السلام، قال ﷺ: **"أوَلا أدلُّكُم علَى شيءٍ إذا فعلتُموهُ تحابَبتُم..؟ أفشُوا السَّلامَ بينَكُم"**[١]؛ فالسلام عبادة.

٣- إذا علم العبد أن الله هو الذي سَلِم عباده من ظلمه، جعله حريصًا أن يسْلم من حوله من أذيته ويسلم من ظلمه، ويسلم من لسانه، قال رسول الله ﷺ: **"المسلمُ من سلِم المسلمون من لسانِه ويدِه"**[٢].

- كم هي نعمة الله على العبد يوم أن يسلّمه من النميمة، لأن شر الناس المشاءون بين الناس بالنميمة..!

ومن كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار في الآخرة..!

- كم هي نعمة الله على العبد حين يعيش والناس يؤمنونه على أعراضهم ولسانهم وأموالهم وعلى كل شيء.. هذا من أكبر نعم الله..

[١]- رواه مسلم.
[٢]- رواه البخاري.

٤- كن مصدر سلام.. و خير على من حولك..

لاتكن ممن لو خاصم فجر...! ومن أرعد وأزبد وانتقم حين ينتقده أو يعاتبه أحد..!

قال رسول الله ﷺ: "مثل المؤمن كمثل العطار إن جالسته نفعك، وإن ماشيته نفعك، وإن شاركته نفعك"[١]

العطار: هو الذي يبيع الطيب والعطور، فإن اشتريت منه انتفعت، وإن جلست معه انتعشت وإن خرجت خرجت مرتاحًا مطيبًا؛ كذلك المؤمن وهذه علامة إيمان تشعر براحة وسلام وهدوء..

يصف رسول ﷺ بلالً ﷺ فيقول: "مَثَلُ بلالٍ كمَثَلِ نحلةٍ غدَتْ تأكُلُ مِن الحُلْوِ والمُرِّ ثمَّ هو حُلْوٌ كلُّه"[٢].

لماذا النحلة..؟

لأنها لا تؤذي.. لا تُفسد.. لا تعتدي.. تعمل بصمت.. ويخرج منها العسل..

وهكذا المؤمن لايخرج منه إلا الأطيب والأنقى والأصلح..

[١]- حديث ضعيف معناه صحيح نورده للاستئناس.

[٢]- رواه الهيثمي وإسناده حسن.

اسم الله "المؤمن ":

ورد اسم الله "المؤمن" في القرآن مرة واحدة، وهو يدور حول معنيين:

المصدق رسله:

بخلق المعجزات لهم وتأييدهم بها..

موسى أعطاه الله تسع آيات.. نبينا ﷺ أيده الله بأكثر المعجزات: انشقاق القمر، تسبيح الطعام، القرآن؛ كذلك بقية الأنبياء، وما من نبي إلا أيده الله بآية..

الذي يؤمن عباده:

هو الأكثر معرفة وتداولًا.. الله يؤمن عباده في الدنيا ويؤمنهم في البرزخ ويؤمنهم في يوم القيامة.

كيف يؤمن الله عباده..؟

١- يؤمنهم في الدنيا: وهذا واضح من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾

الأمن النفسي.. الأمن القلبي.. الأمن من أذية البشر.. الأمن من كل أذية..

بقدر التوحيد.. بقدر الإيمان.. يكون هذا الأمن..

كلما كمُل التوحيد وكمل الإيمان زاد تأمين الله للعبد.. وأفاض على قلبك من هذا الأمن.. ويكفينا في هذا مشهد الرسول ﷺ في الغار: ﴿إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾

لذلك الكفار لا يشعرون بالأمن التام حتى وإن تهيأت لهم أسباب الأمن المادية لكن نفوسهم ليست مطمئنة ولا آمنة لأنهم فقدوا الأمن النفسي والقلبي..

٢- إذا أُودع الميت في قبره وسأله الملكان من ربك..؟ ما دينك..؟ من نبيك..؟

هناك من يثبته الله.. ويجري الجواب على لسانه.. وهذا نوع من الأمن: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾

وهناك من يقول: هاه.. هاه.. لا أدري...!

٣- يوم القيامة: إذا دخل المؤمنون الجنة، يذهب الخوف ينتهي، يؤمنهم الله من الفزع والخوف:

﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾

إذا دخل المؤمنون الجنة.. يذهب الخوف وينتهي.. يؤمنهم الله..

لا خوف من مرض.. من موت.. من نار.. من ديون: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

وقال تعالى: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾

و أكثر ما يستجلب به العبد أمن الله:

١- التوحيد: كلما اهتممت بتوحيدك زاد أمن الله لك، فلا تستغيث إلا بالله، لا تذبح إلا لله، لا تتوكل إلا على الله، الصبر على أقدار الله والرضا بها.

٢- كثرة خوف الإنسان من الله في الدنيا، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ قال: "وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين إذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة"[١]

الرسول ﷺ إذا رأى سحابة في السماء كان يخاف..!

يتغيّر وجهه.. يقبل ويدبر.. يدخل ويخرج.. حتى تمطر فيُسرَّى عنه..

فسألته السيدة عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا واستبشروا وأنت إذا رأيت الغيم تغيرت حالك؟ فقال عليه الصلاة والسلام: "ما يؤمني أن يكون فيه عذاب، عُذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا"[٢]

بل كان أكثر دعائه ﷺ: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"[٣].

وهذا الدعاء لو تأملته ستجده دعاء عبدٍ خائف..

وقد سأل الصحابة رسول الله ﷺ: أتخاف علينا؟ قال: "إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء"

والعبد لا يأمن أن يقلب الله عليه قلبه في طرفة عين..!

---

[١]- أخرجه ابن حبان في صحيحه والبيهقي في شعبه.
[٢]- رواخ البخاري.
[٣]- رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وقد قصَّ الله ﷻ علينا قصة ذلك الرجل من بني إسرائيل: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾

عالم أُوتي العلم.. ثم ماذا..؟ انسلخ..!

لم يقل الله زاغ أو ضل بل انسلخ...!

كما تنسلخ الحية من جلدها.. تنفصل تماما ويسقط جلدها عن لحمها..!

هذا رجل آتاه الله علمًا.. لكنه انسلخ فأدركه الشيطان.. تسلط عليه.. فكان من الغاوين..

وبما أن الله حكى خبر هذا الرجل من بني إسرائيل؛ فهذا قد يحصل في أمة محمد ﷺ، قال رسول الله ﷺ: "لو وُجد في بني إسرائيل من ينكح أمه علانية لوجد في أمتي من يفعله" لأننا ابتُلينا بـ : " لتتَّبعن سنن من كان قبلكم..."

وأمام هذه الثغرات والتقلبات لا بد أن يعيش العبد على حذر، لا يغتر بكلام ومدح الناس له؛ لأنه لا يعلم إذا كان الله قبله أم لا..! وآفات العمل كثيرة..

لذلك كل من عاش في هذه الدنيا خائفًا على نفسه.. خائفًا من ذنوبه.. من الفتن.. فهو جدير بأن يؤمنه الله يوم القيامة

* كلما خاف العبد دعا الله باسمه المؤمن أن يؤمنه ويؤمن خوفه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾

* كلما وجد العبد نفسه آمنًا في بيته مع أهله.. عنده قوت يومه.. ينام ملء عينيه.. فليحمد الله المؤمن لأن غيره ينام على خوف ويصحو على فزع لا يدري أيصبح عليه الصباح أم لا...!

إذا استشعر العبد هذه النعمة زاد شكرًا حتى لا تسلب منه النعم، وقد كانت هذه أول دعوة دعا بها إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾

اسم الله " المهيمن":

ورد اسم الله المهيمن في القرآن مرة واحدة، وأكثر أهل السلف كانوا يفسرون اسم الله المهيمن بأنه الرقيب، أي: الشاهد على عباده بأعمالهم.

وهناك معنى آخر: وهو المتمكن.. المسيطر على الأشياء سيطرة كاملة تامة..

وقد تحدى الله سبحانه وبحمده البشر بالسيطرة الكاملة: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾

الله وحده له السيطرة الكاملة على الكون وعلى مجريات الكون: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

لو اقتربت الشمس من الأرض قليلًا لاحترقنا.. ولو ابتعدت قليلًا لتجمدنا..!

من الذي وزن الكواكب والنجوم والشمس والقمر..!

الله المهيمن..

هذه سيطرته على الكون فكيف على البشر..!

تقرأ حزن الرسول ﷺ في سورة الغاشية حين دعا قومه ولم يستجيبوا له: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾

يا محمد..! أنت لا تملك قلوبهم.. ولا تستطيع السيطرة عليها..!

الله وحده هو الذي يهيمن ويسيطر على كل شيء..

الآثار التعبدية لاسم الله "المهيمن":

١- إذا رأى العبد أن قلبه قد مال أو زاغ أو انحرف فليدعُ الله باسمه المهيمن: يا مهيمن أعنِّي على قلبي..!

وأكثر من يحتاج هذا الدعاء من ابتلي بالعشق المحرم المذموم..

٢- من استشعر هيمنة الله وسيطرته على القلوب كان حريصًا أن لا يصبح ولا يمسي إلا بنية صالحة، فالله في قلبه أجلُّ من أن يُبيِّت أن يعصيه..! فلا يُبيِّت إلا خيرًا.

٣- إذا اعترض على العبد أمران؛ إما أن يقدم الله أو يقدم شهوته فاستحضر هيمنة الله سيقدم الله، لأنه أجلُّ في قلبه من أن يقدم غيره **"ومن قدم الله قدمه الله"**

٤- من استحضر هيمنة الله وسيطرته على الكون وأصبح هذا علمٌ ويقينٌ وتوحيد، لا يذِلّ لأحد كائنًا من كان؛ بل يدعو: يامهيمن سخرهم لي.. نسأل الله أن يزيدنا توحيدًا بأسمائه وصفاته...

اسم الله "العزيز":

اسمٌ يعالج كل من يعاني هزيمة نفسية..!

اسمٌ ينقلب به العبد إلى حياة جديدة.. إلى قلبٍ جديد.. وتفكير جديد..!

عندما ترى تكالب أعداء المسلمين وتآمرهم.. عندما يصبح أرخص دم هو دم المسلم.. وأرخص عِرضٍ هو عرضُ المسلم..

عندما ترى المسلمين كيف بدؤوا ينسلخون من دينهم انسلاخًا.. وأصبح كلٌّ همهم الغرب واتباع الغرب والذوبان فيهم حتى تآكلت عقيدة الولاء والبراء وأصبح المسلم وهو مسلمٌ حيران متخبط لا يعلم من يوالي..؟ ومن يعادي..؟

في هذا الوقت يأتي اسم الله " العزيز" ليعالج هذا القلب الذي دب إليه الضعف والوهن واليأس وعدم الثقة.. ليُعالج هذا القلب الذي انسلخ من عزته..!

وكأنه يقول : يا مؤمن.. اعلم أن ربك عزيز وأن العزة لا تُستمد إلا منه ﷻ.

فربك الذي خلقك وخلق جميع البشر يقول لك: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

* ورد اسم الله "العزيز" في القرآن كثيرًا؛ ما يقارب من اثنين وتسعين مرة.. له اقترانات كثيرة:

- العزيز الحكيم..
- العزيز العليم..
- العزيز الرحيم..

وهذه الاقترانات ماهي إلا كمالٌ فوق كمال.. وحسنٌ فوق حسن.. فهي تُعطي معنى جديدًا لهذا الاسم..

"العزيز":

مأخوذ من العزة، وهي الغلبة والمنعة والرفعة والقوة، يقال: رجل عزيز أي: لا يغلب ولا يقهر.

أيضًا يقال: غلبني فلان على الأمر، أو عزني فلان على الأمر بمعنى غلبني.

أيضًا يقال: عزَّ الشيء بمعنى: أصبح وجوده نادرًا ، لا يكاد أن يكون موجودًا..

وفي سورة يـــس في قوله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي: قويناهم بثالث.. وشددنا أسرهم بنبي ثالث ورسول ثالث.

هذه المعاني اللغوية لو جمعتها ستوصلك لمعنى اسم العزيز في حق الله ﷻ..!

يقول ابن السعدي رحمه الله: "هو الذي له العزة كلها، عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع".

عزة القوة:

لا يجرؤ ولا يستطيع أحدٌ أن يقف أمام قوة الله: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾..

قوم هود كانوا أقوياء جدًّا.. أقوياء في أجسامهم.. في جبروتهم.. في بطشهم حتى أنهم كانوا يفتخرون بهذه القوة ويقولون من أشد منّا قوة..!

والله ﷻ عندما وصفهم قال: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ أي: إذا حصل بينكم وبين الناس حرب أو قتال أو نزال بطشتم - بهم والبطش لا يكون من الضعيف أبدًا- البطش لا يأتي إلا من قوي..!

وحتى تتصور قوتهم وضخامتهم فقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: "أن أهل الجنة يدخلون الجنة على طول أبيهم آدم ستون ذراعًا..."

ستون ذراعًا تعادل خمسون مترًا تقريبًا..!

يدخل المؤمنون الجنة بطولِ أبيهم آدم عليه السلام.. وهو طول الأقوام السابقة..!
قوم عاد أكثر من هذا طولًا لأن الله جل جلاله وصفهم في كتابه بأنه آتاهم بسطة في الجسم..
لك أن تتخيل..!!
قومٌ بهذه القوة.. بهذا الجبروت.. وهذه البسطة.. وهذه الأجسام خرجوا عن بكرة أبيهم من أجل أن يقضوا على نبي الله هود عليه السلام وكان وحده فقط ليس معه أحد..!!
وقف أمامهم متحدّيًا..!
تحدّاهم بتحدّ صريح قوي فيه صفة المستعيذ بقوة الله، فقال: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾..!
اجتمعوا كلكم.. من أولكم إلى آخركم.. من كل جهة.. ذكركم وأنثاكم.. وصغيركم وكبيركم.. ولا تمهلوني دقيقة..!!
و لو كنتم تستطيعون القضاء فاقضوا عليّ..!
تقوّى بمن..؟ ومن أتت له هذه القوة..؟
كان قويًّا بالله.. قلبه ثابتٌ كالصخر لأنه علم أن كل شيء أمام عزة الله وقوته ضعيف صغير..!
تقَوَّى بربه فقوَّاه وآزره ونصره..

أيضًا لوط عليه السلام؛ خرج عليه رجال قريته كلهم.. والجميع يعلم ماذا يريد رجال قرية قوم لوط من أضياف لوط عليه السلام حتى أنه سمى ذلك اليوم أو وصفه بأنه يوم عصيب..!
لكنه تقوَّى بربه.. ركن إلى ربه فجاءته الإجابة فورية من العزيز جل جلاله: ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾
لأن الله هو العزيز القويّ سبحانه وبحمده.. لا يتقاواه متقوٍ و لا يقاومه مقاوم.. القوة كلها لله..!!

<u>عزة المنعة:</u>
هو الذي لا يُنال ولا يُوصل إليه سبحانه وبحمده.. لا يستطيع كائنًا من كان من البشر أن يضره أو ينفعه أو يُدخل عليه مكروهًا أو يُدخل عليه شيء أبدًا..
الحي القيوم العزيز الممتنع لا يُقيمه أحد.. لا يُمدّه أحد.. ولا يحتاج إلى أحد سبحانه وبحمده..

<u>عزة الغلبة والقهر:</u>
هو الذي لا يغلبه أحد.. وهذا النوع من أنواع العزة فيه معنى التحدي..
يتحدى الله كل المتآمرين.. كل المخططين.. كل الكائدين والظلمة والجبابرة والمتكبرين..!
دبر ما شئت.. افعل ما شئت.. هيئ لنفسك ما تريد من الظروف.. ابذل ما تريد من الأسباب..!
فلن يكون إلا ما أراده الله.. لن تغلبَ مراد الله؛ لأن الله يقول: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

- إخوة يوسف يكيدون له.. يخططون لقتله.. يعادونه..
والله العزيز ﷻ يأبى إلا أن يُمكِّن ليوسف في الأرض.. يُمكِّنه وينقله إلى مصر ليصبح عزيزًا؛ بل جعل الله التدبير الذي دبره إخوته هو السبب الذي أوصله إلى العزة والرفعة.. وهذا من كمال عزة وغلبته وقهره ﷻ..
أن يجعل الطريق الذي أُغلق عليك.. والأشخاص الذين عارضوك و دبروا وكادوا ومكروا لك في الخفاء..
هو الطريق الذي يعيدك.. يوصلك إلى مرادك ومقصودك.. يوصلك إلى العزة و الرفعة ويأتيك الرزق من نفس الطريق..!
لأن الله ﷻ عزيز لا يُغالب.. لا يتحداه أحد.. لا يُمانع ولا يُخالف ولا يستعصي عليه شيء..

عزة القدر:

الله ﷻ عزيز لا يعادله شيء.. لا مثيل له.. لا ند له.. لا نظير له.. ولا شبيه له: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾..
هذه هي أنواع العزة الأربع.. هذه هي أركان العزة..
والله ﷻ بلغ منتهى العزة في هذه المعاني و هذه الاعتبارات..

الآثار التعبدية لاسم الله " العزيز ":

١- إذا عرف العبد أن الله له العزة الكاملة فلا يطلبها إلا من الله ولا يستمدها إلا من الله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ ومن طلب العزة من غير الله أذله الله.. وأهانه ووكله إلى من طلبها من عنده..!

- يُقال أنّ شاعرًا كان يدخل على المعز الفاطمي الذي حكم الدولة الفاطمية.. يمتدح الحاكم بمدح مبتذل حتى يتقرب ويتذلل ويتودد له.. وصل في مدحه أنه كان يقول:

شئت لا ما شاءت الأقدار احكم فأنت الواحد القهار

الحاكم أعجبه هذا المدح والثناء فكان يأخذ معه هذا الشاعر ليرافقه ويسافر معه ويصاحبه في كل وقته..
في أحد الأسفار أصيب الشاعر بوجع في رأسه.. أخذ يصرخ ويئنّ ويرفع صوته..
تأذى المعز الفاطمي من هذا الصوت.. ومن هذا الصراخ.. فماذا فعل..؟!!
تركه وحيدًا على شاطئ البحر.. بلا رفيق.. بلا أنيس.. بلا زاد.. بلا شيء.. وأخذ ركبه ومضى وتركه..!!
بعد ذلك.. وجدوه ميِّتًا منتنًا حقيرًا مُــهانًا..!!
يقول ابن كثير: في أثناء صراخه كان يقول للمعز:
أنت الواحد القهار، أنت الواحد القهار ..!
طلب العزة من مخلوق.. طلبها من بشر.. فوكله الله إليه.. أذله وأهانه..
سلطه الله عليه فأتاه الخذلان من نفس الشخص الذي كان يطلب منه العزة..!
والقاعدة تقول: "**من ترك العزيز أذله الله**" وفي المقابل: "**من ذل للعزيز عز** "..

- النبي ﷺ عندما خرج إلى بدر غزوة بدر.. خرج ليس له عدة ولا عتاد يواجه به قريشًا.. يواجه به ألف مقاتل..!
خرج مستعزًّا بربه.. طيلة ليلة الغزوة كان يناجي ربه:
يا رب وعدك الذي وعدتني.. يا رب نصرك الذي وعدتني.. يا رب إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض..
يا رب.. يا رب.. يا رب.. يا رب..!
طلب العزة من ربه فقوَّاه ربُّه.. شدّ من أزره.. فنصره وأعزه..

- مكة لم تفتح بالسلاح.. ولم تفتح بالدماء.. ولا بالمدرعات ولا بالقتال..!
إنما كان فتح مكة فتحًا بعزة الله فقط..!
دخل إليها النبي ﷺ بعد أن طُرد منها..
يدخلها والمؤيد والناصر له هو الله.. المعز له هو الله والله لا يغلب أبدًا..!

- في غزوة الأحزاب أرسل الله ريحًا عزيزة بعزّة من أرسلها ﷻ..
هذه الريح فقط تسلطت على معسكر المشركين.. أطفأت نيرانهم.. كفأت قدورهم.. ذرت الرمال.. ضربت الصخور ببعضها .. فزعوا.. تشتتوا.. تفرقوا.. ورجعوا من حيث أتوا وكفى الله المؤمنين القتال بعزته وقوته وغلبته..!
الله إذا أراد إعزاز قوم أعزهم بما أراد و سخر لهم من الجنود ما يريد: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾..!

العزُّ كلّ العزِّ أن تعيش في كنف العزيز.. أن تطلب العزة منه.. تستمدها منه لا من غيره..

٢- أن يعيش المؤمن العزة معنىً في حياته وفي سلوكه.. وتكون منهجًا يسير عليه..

- عمر ﷺ أمير المؤمنين كانت الدنيا كلها في قبضته..
الأموال ..الخزائن ..الذهب ..الفضة ..الخراج .. الأمر والنهي..
لكنه حينما أتى بلاد الشام يريد أن يفتح بيت المقدس وتسلم له مفاتيحها أتاها بثياب مرقعة..!
فيقال له: لو لبست ثيابًا أخرى يا أمير المؤمنين..؟
غضب عمر ﷺ وقال: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام وإن ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله"..!
العزة لن تأتينا بشكل ولا لباس ولا مظاهر...!
إنما تأتي العزة من ديننا.. من عقيدتنا.. من توحيدنا.. من إسلامنا..
فإن تركناه وبحثنا عن العزة في غير طريق الإسلام سلبها الله منّا..!

- يدخل ربعيّ بن عامر ﷺ على رستم ملك الفرس.. وقد كانت الفرس في ذلك الوقت أقوى امبراطورية..
وربعيٌّ ﷺ كان بسيطًا.. لم يكن قائدًا من قادات المسلمين كعمر بن الخطاب وعثمان وعلي ﷺ..!
دخل على رستم بهيئته المتواضعة.. بلباسه المتواضع.. يربط سيفه على بطنه.. يحمل رماحه على ظهره.. ويتكئ على رمحه..
رجال رستم ووزراؤه عن اليمين والشمال.. الوسائد عن اليمين والشمال.. البُسط ممتدة..

دخل بهذه الهيئة الضعيفة البسيطة قويًّا مستعزًّ بربه.. دخل متكئًا على رمحه..
رمحه يمزق البسط والوسائد.. يقف أمام رستم ويقول له: "جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، نخرجهم من جور الأديان إلى دين الإسلام، جئنا نخرجهم من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة إن قبلتم منا قبلناكم وإلا الجزية والقتال"..!!
محتصر كلامه : أمامك ثلاثة أيام بعدها لن يكون إلا القتال..!
رجلٌ لا شيء معه لكنه كان عزيزا بالله..!

- امرأة أُسِرت فصرخت: وامعتصماه..!
المعتصم بيده كوب من الماء.. وصله النداء.. وصله الخبر.. وضع الكوب وقال لخادمه: غطّه حتى أرجع..!
كأنه يذهب لمكان قريب ويعود..!
خرج وحرّك جيشًا كاملًا بسلاحه.. برجاله.. بعتاده.. بقيادته هو..!
وربما يأخذ منه شهورًا حتى يصل.. و يحرر.. وينتصر.. لكنها عزة المؤمن عندما تجري في الروح..!
خرج من أجل أن يجيب صرخة امرأة..!
حرر المدينة.. ويأبى إلا أن يفتح أسرها بنفسه.. يفتح باب سجنها.. ويقول لها مجيبًا على ندائها:
"لبيك أختاه، اشهدي بذلك غدًا عند رسول الله ﷺ"..!
عزة..!
من استقرّت العزة في قلبه لن يذله أحد.. ولن يهينه أحد لأنه عرف كيف يعيش هذه العزة معنًى وسلوكًا ومنهجًا ينتهجه في حياته.. وقد فقدنا كثيرًا من هذه المعاني..!

والله ﷻ استنكر في القرآن على هؤلاء الذين يطلبون العزة من عند غير الله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾..!
الذين يبحثون عن العزة عند الكفار واليهود و الغرب والله لن يحصّلوا شيئًا.. ولن يدركوا شيئًا؛ بل سيجمع الله لهم الذل من كل أطرافه.. من كل طرقه.. وسيشاهدون أمام أعينهم كيف أن الله سلبهم العزة فسلَّط الله عليهم ذلًّا لن ينزعه عنهم إلا إذا رجعوا إلى دين ربهم وعرفوا ما معنى اسم الله العزيز..!

لابدَّ أن نعمل جاهدين على أن نرجع قليلًا.. نبث العزة في قلوبنا وقلوب أبنائنا و بناتنا الذي فقدوا هويتهم.. فقدوا عزتهم.. فقدوا دينهم.. وفقدوا كل شيء..!
لم يعد يهمهم إلا الابتعاث.. السفر.. والحرية حتى انسلخوا من دينهم انسلاخًا تامًّا في لباسهم.. أفكارهم.. ولغتهم.. وتاريخهم.. وعباداتهم..!

٣- وأنت في طريق العزة لا بد أن تعرف أن الله لا يعزّ إلا أهل طاعته وأوليائه وعباده الصالحين..
كل من سار في طاعة الله أعزه الله.. ما ذلّت النفوس ولا صغُرت ولا سقطت إلا بالمعاصي..!
يقول الرازي: "وعزة كل أحد بقدر علوّ رتبته في الدين، فإنه كلما كانت فيه هذه الصفة أكمل كان أشدّ عزة و أكمل رفعة" أي: لا يرضى بالقليل من الطاعة ولا يتخفف منها؛ لأنه على قدر الطاعة يكون إعزاز الله لك..!
ذاك الصحابي الذي جاء إلى النبي ﷺ وسأله مرافقته في الجنة، قال له: "أعنِّي على نفسك بكثرة السجود"..
أكثر من الصلاة.. أكثر من السجود.. أكثر من الركوع.. أكثر من الطاعة لأنه بقدر سجودك وركوعك وخشوعك وطاعتك يكون عزك ورفعتك عند ربك وتصل إلى المرافقة وهذا مقام عالٍ جدًا..!

لذلك؛ أيها المستعز..!
إذا أقدمت على الحرام.. و ولغت فيه.. وفعلته.. ستنزل قيمتك وستبدل العزة بالمهانة وهذا من شؤم المعصية، كما قال ابن القيم رحمه الله: "ومنها زوال المهابة والحلاوة التي لبسها بالطاعة فتبدل بها مهانة"..!
كم وكم من معصية سلبت صاحبها كل شيء.. كم من معصية سلبت صاحبها عزًّا وقدرًا..
سقط من عين الله ثم سقط من عين الناس وعاش بين الناس بلا قدر ولا مكانة..!!

والصحابة ﷺ كانوا يعيشون في عزة عجيبة أعزهم الله بها لأنهم تخففوا من معاصيهم.. أكثروا من طاعاتهم..
وتأمل قول عبد الله بن مسعود ﷺ عن عمر: "والله إني لأحسب أن بين عينيه ملكًا يسدده ويرشده"..!
من كثرة ما يرى من توفيق الله لعمر.. ومن إعزاز الله لعمر.. ومن رفعة الله لعمر..!
من أين أتى بها عمر..؟!
أتى بها من كثرة الطاعة.. كثرة التقوى.. كثرة مراقبته لربه حتى تخفف من معاصيه..
٤- التواضع للمؤمنين، والدليل قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾
كلما تعززت على المؤمنين فقدت عزة الله لك.. وكلما تواضعت انخفضت للمؤمنين أعزك الله و نلت جانبًا وحظًّا كبيرًا من هذه العزة..

٥- كثرة النظر إلى كتاب الله..
من هجر القرآن وابتعد عن القرآن ولم يحسن صحبة القرآن فطريقه إلى العزة ناقصٌ لن يكتمل..!
﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ لا عزّة لنا إلا بالرجوع إلى كتاب الله..!
شيخُ الاسلام ابن تيمية الذي قضى عمره كله في الكتب والعلم والوعظ والتدريس والتأليف والتعليم.. في آخر عمره قال: "لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما تركت القرآن"..!

٦- إذا امتلأت نفسك بهذا الاسم وتضلَّعت منه.. وجعلته سلوكًا في حياتك رُزقت الشّجاعة..
قال ابن القيم في أثر يرويه عن الشجاع : "الشجاع منشرح الصدر متسع القلب" لأنه إنسان حرّر نفسه من جميع القيود.. من الهزيمة.. من الضعف.. من الخوف.. من الخنوع.. من التردد..

فمن أُفعم بالعزة.. وأُشبع بالعزة.. والعزة تجري في دمه.. تجري في عروقه.. تأبى عليه هذه الروح أن يكون متهالكًا مهزومًا ضعيفًا سلبيًّا خنوعًا مستسلمًا..!
هذه العزة تجعل هذا الإنسان أمة لوحده.. وقّادًا.. لا ينحني ولا ينكسر يعرف كيف يقتحم الصعاب.. كيف يصبر على هواه.. كيف يمسك عزيمته.. كيف يغلب نفسه..!
وإن غلبته نفسه ووقع سرعان ما يقف مرة أخرى.. وهذا كله من الشجاعة التي جعلها الله في قلبه والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف..!

اســم الله " الجبار" :

اسمٌ يجد العبدُ معناه في القلب دون أن يشرح..!

ورد مرة واحدة في كتاب الله تعالى، ويدور معناه حول ثلاث معانٍ:

١- العالي: كانت العرب تقول تجبّر النبات أي علا النبات..

كانوا يسمون النخلة الطويلة: جبارة..

والمعنى في حق الله تعالى هو: العالي على خلقه.

٢- الجبر هو: الإكراه والإرغام والقهر..!

والمعنى: أن الله يُجبر خلقه ويَقهرهم على ما شاء من مراده وأمره سبحانه وبحمده..

دان له كل شيء وخضع.. له الجبروت كله.. لا يستطيع أحد أن يخرج عن مراده..

وجَبْرُ الله وقهره لعباده مقترنٌ بتمام وكمال عدله وعلمه وحكمته لأنّ الله ﷻ حرم الظلم على نفسه؛ وهذه نقطة مهمة جدًا في فهم اسم الله "الجبار" لأجل من يُشكل لديهم ويشتبه: كيف الله يخلقنا هكذا..؟ كيف يعذبنا هكذا..؟

هذا مع كمال علمه و حكمته وعدله والله ليس بظلام للعبيد..

٣- الجبار بمعنى: الإصلاح أي أن الله يصلح الأمور.. يجبر الكسير.. يجبر الضعيف.. يجبر المظلوم.. يجبر المريض.. ويجبر القلوب.. وقد جمع ابن القيم هذه المعاني الثلاثة في نونيته:

وكـــــــــذلك الجبـــــــــــار من أوصافــه — والجــبر في أوصافه قــسمـــان

جبر الضعيف وكل قلب قد غدا — لا كـــسرة فالجـــبـــر منـــه دان

والـــثاني جـــــبر القهر بالعز الـــذي — لا يــنبغي لسواه من إنـــســان

وله مســـــــــمى ثـــــــالث وهو العلو — فـليس يدنو منه مـــن إنسان

مـــــــن قـــــولـــــهم جـــــــبارة للنخلة — الـــعليا التي فاتت بكـــل بنان

ومن تأمل القرآن وتدبره وعاش معه؛ وجد آيات كثيرة في كتاب الله تدل على جبر الله لقلوب عباده.. وأن الله يتحبب إلى عباده بهذا الجبر:

- جبر الله قلب نبيه محمدًا ﷺ عندما استهزأ به كفار قريش وعيّروه واستهزؤوا به وقالوا: هو أبتر..!

أي: لا أولاد ذكور له بل سيموت غدًا ولا عقب له..!

كان يتألم لهذا الكلام.. لكن الله جبره برغم الألم فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾..!

و الكوثر هو الخير الكثير، ومن هذا الخير الكثير: النهر الذي أعطاه الله للنبي صلى الله عليه وسلم ثم بيّن له أن شانئك هو الأبتر.. هؤلاء المبغضون والكارهون لك هم المبتورون.. هم الذين قُطع ذكرهم في الدنيا بل سيقطعون ويبترون من كل خير ولن يبقى لهم ذكر وسيبقى ذكرك يا محمد باق إلى يوم القيامة..!

فما ذُكر الله إلا وذكر معه محمد ﷺ: " أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله "..

- انقطع الوحي عن رسول الله ﷺ شهرًا كاملًا..!
وقد وكان النبي ﷺ ينتظره متألمًا حزينًا..!
فأخذ كفار مكة يقولون: ودّعه ربّه وجفاه.. هجره ربه فقلاه وأبغضه..!
كان النبي ﷺ يتغصّصُها.. يتجرعها في قلبه ويكظمها.. حتى جبر الله قلبه وأقسم له:
﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾
ما هجرك ولا قلاك.. وما أبغضك ولاتركك.. ثم يأتي الجبر الذي ليس فوقه جبر: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾
سيعطيك ويعطيك ويعطيك ويعطيك حتى ترضى..!

والله لا يجبر قلوب أنبيائه فقط؛ بل يجبر قلوب عباده في كل وقت.. وفي كل زمان..

يذكر أهل المواعظ أن رجلًا كان جالسًا مع زوجته على العشاء.. وكان عشاؤهم دجاجًا..
طُرق الباب.. قامت الزوجة وفتحت الباب فإذا بالباب سائل فقيرٌ يطلب الصدقة..
أرادت الزوجة أن تعطيه شيئًا فنَهرَها زوجُها و منعها ثم أمرها أن تطرده وتُغلق الباب في وجهه..
مرت الأيام وتطلقت هذه المرأة من هذا الرجل وتزوجت من رجل آخر..
يُقدّر الله أن تكون مع زوجها الثاني في إحدى الليالي على طعام العشاء.. وكان هذا العشاء دجاجًا..!
ولحكمة أرادها الله.. طُرق الباب.. قامت الزوجة وفتحت الباب فإذا بالباب سائلٌ يطلب الصدقة..
أصابها الذعر..! تعجب زوجها، فقالت له: أتدري من السائل..؟ قال: لا، قالت: زوجي الأول..!
وقصّت عليه خبر طلاقها وقصة ذاك السائل الذي طرق الباب وأمرها زوجها أن لا تُعطيه شيئًا..
سكت الزوج الثاني ثم قال: أتدرين من ذلك السائل..؟ قالت: لا، قال: أنا..!
الله هو الجبار.. جبر كسره بعدما طُرد و زُجر و أُغلق الباب في وجهه..
جبره وجعل هذه المرأة زوجة له.. تحصل لها نفس القصة ونفس الأحداث على نفس الطعام..
يقولون: "**هنيئًا لمن كُسر وكان الله هو الذي يجبره كسره هنيئًا له**"..

الآثار التعبدية لاسم الله "الجبار":

١- عندما يعلم الإنسان أن ربه الجبار الذي يلم شعثه.. ويجبر عثراته.. ويمسح وجعه.. يجمع عليه شتات نفسه.. يحبه بل ويزداد في حبه لأن القلوب تبقى أسيرة لمن أحسن إليها..
والله قد أخضعنا بكثرة إحسانه.. بكثرة معروفه.. أخضعنا بكثرة ما يعطينا من نعم متوالية متتالية في الليل والنهار.. في الصباح والمساء.. في أنفسنا.. في أولادنا.. في أهلنا.. في بيوتنا.. في علمنا.. في حفظنا.. في حب الناس.. نِعمٌ تترا..!

٢- يرغب العبد إلى ربه الجبار في كل مصيبة تعترضه حتى يجبر مصيبته: "يا رب اجبرني"..!
المصائب كسْر.. فأصلح يا رب كسري فيأتي الجبر بطريقة عجيبة و " **ما سلب الله عبدًا نعمة فصبر عليها إلا عوضه الله خيرًا منها**" وهذا جبر..!
فقدت أبًا .. أمًّا.. ابنًا.. زوجًا.. فقد ما فقدت من الدنيا..
الله هو الذي أخذ.. والله هو الذي أعطى.. والله هو الذي يجبر.. والله هو الذي يعوض..

وفي الله عوضٌ عن كل هؤلاء.. في الله عوضٌ عن كل شيء.. في الله عوض عن كل فائت..!
هذه معانٍ إيمانية تحلّق بك عاليًا في درجات الإيمان.. ومن استطاع أن يحلق هذا التحليق الإيماني سيتذوق طعم الجبر..
والجبر ليس في المصائب فقط بل حتى في الذنوب و المعاصي..!
لأن المعصية كسر.. كسرت شيئًا من الإيمان ولن يجبر هذا الكسر إلا الجبار ﷻ..
والإنسان تغلبه نفسه أحيانًا فيقع ويعصي.. لكن من الناس من يتداركهم الله برحمته فيجبرهم.. وينتشلهم من الوضع الذي هم فيه.. يخرجهم سريعًا من الزلل الذي وقعوا فيه.. ينير طريقهم ويردهم إلى الطريق مرة أخرى..
يوقظ قلوبهم.. يرسل لهم من يُسمعهم كلمة.. موعظة.. آية.. رسالة تحرك القلب..
تأتيه على نفس جرحه.. يحملهم الله إليه حملًا.. ويسوقهم إليه سوقًا.. يحرك قلوبهم للتوبة.. يقذف في قلوبهم حبها فيتوبون..!
والتوبة بذاتها رزق..!

٣- من عرف أن الله يجبر قلوب عباده فيجبر الناس من حوله.. يترفق بهم.. يواسيهم حتى تدخله هذه الصفة على ربه فيجبره الله؛ لأن الجزاء من جنس العمل، والله يحب من عباده من يتصف بصفاته..
ولا يستطيع للعبد أن يتخلق بهذه الصفة ما لم يمتلك قلبًا واسعًا كاتساع البحر وإن شئت فقل كاتساع السماء..!
قلبٌ يحتوي الجميع.. يعطي الجميع.. يقترب من الجميع.. يحب الجميع.. ويأخذ بيد الجميع..
قلبٌ يتقن فنّ المواساة.. قلبٌ يتقن مهارة إعادة البناء وترميم المشاعر المُحطمة.. المهشّمة.. مشاعر من فقدوا أنفسهم..!
الناس تريد منا أن نبث فيهم الأمل.. نعطيهم الثقة في ذواتهم.. والنبي ﷺ كان عظيم المواساة لأصحابه.. يواسي بالقليل والكثير.. يواسي بالكلمة.. يواسي بالفعل.. يواسي بالهدية.. يواسي بالدعاء.. بالزيارة..

- يدخل رسول الله ﷺعلى صبي صغير مات له عصفورٌ كان يلاعبه..!
يُمازحه حتى يجبر قلبه الصغير فيقول : يا أبا عمير ما فعل النغير..؟

- يجبر و يواسي جُليبيب ﷺ.. لا جاه ولا مال ولا مكانة لا أحد يريده ولا أحد يقبله ولا أحد يزوجه..!
خطب له بنفسه ﷺ امرأة من الأنصار فتوافق إكرامًا لخطبة النبي ﷺ..

- شارب خمر جُلد.. ثم شرب الخمر و جُلد.. ثم شرب الخمر وجُلد ثلاثًا..!
سبه بعض الصحابة.. واشمأزوا منه.. فقال النبي ﷺ: "لا تعينوا الشيطان على أخيكم إنه يحب الله ورسوله"..!
سمعها الرجل فلم يعد إلى شرب الخمر مطلقًا..

- زاهر رجل من البادية.. ذميم.. قيل أنه كان عبدًا أسودًا..
كان يأتي ببضاعة من البادية ليبيعها في سوق المدينة.. يدخل رسول الله سوق المدينة.. يرى زاهرًا.. يحتضنه من الخلف ثم يقول: "من يشتري هذا العبد.. من يشتري هذا العبد"..!
يلتفت إليه زاهر ويقول: تجدني كاسدًا يا رسول الله..؟
فيجبره ويقول: "أنت لست عند الله بكاسد بل أنت عند الله غال"..

- يدخل على صفية رضي الله عنها وهي تبكي.. يسألها: ما يبكيك يا صفية..؟
قالت: يقولون عني يهودية، قال: قولي لهم أنك ابنة نبيّ.. وعمّك نبيّ.. وأنت تحت نبيّ..

كان نسيما يمشي بين أصحابه ﷺ، يجبر قلوب من حوله؛ بل إن من عظمة قلب النبي ﷺ كان أصحابه يعتقد الواحد منهم أنه هو الأقرب والأحبّ إلى قلب النبي ﷺ، وهذا يدل على سعة قلبه ﷺ..

ومما يعينك على أن تمتلك مثل هذا القلب:

* أن تعرف أن هذا الجبر.. وهذا الإحسان.. وهذه المواساة باب مفتوح إلى الجنة.. وطريق مفتوح إلى رحمة الله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، و"**من أحسن إلى عباد الله كان الله إليه بكل خير أسرع**" فالمسألة عبادة تتعبد الله بها،و الله يصطفي من عباده من يشاء، ويمنّ عليه بمثل هذا القلب الواسع..

* اجعل قلبك على سجيته على عفويته لا تتكلف في حبك ومشاعرك.. لا تتكلف في صدقك وعطائك.. لأن التمثيل و الزيف والتكلف يقلل الصدق.. والقلب إذا قل صدقه قلت بركته.. وقلّ جبر الله له..

*اعترف بمعروف الناس.. اعترف بمجهود من أمامك.. لا تجحد ولا تنكر..
هذا من الوفاء والله يحب من عباده الأوفياء.. و "**من وفّى وفّى الله له**"..!

* اِسْأل الله أن يمن عليك بقلب كقلوب أوليائه المقربين.. وأن يفتح لك كما فتح لهم..
ومن أهم ما فتح الله به على قلوب أوليائه جبر قلوب الناس والإحسان إليهم..

اسم الله " المتكبر":

سمى الله نفسه [المتكبر] والتاء في [لفظة المتكبر] تفيد التفرد والتخصص..

والتكبر لا يليق إلا بالله لا يليق إلا أن يكون من صاحب العظمة والكبرياء وهو الله ﷻ..

فلا يبلغ عظمته أحد ولا يبلغ كبرياءه أحد.. فهو الخالق وما سواه مخلوق وهو السيد وما سواه مملوك.

والسيد من صفاته الرفعة والتكبر، والمملوك صفته التذلل والخضوع .

فلا يجب أن يتلبس بلباس الكبرياء أحد إلا الله، ففي الحديث القدسي: "الكبرياءُ ردائي والعظمةُ إزاري فمَن نازَعني في شيءٍ منه أدخَلْتُه في النَّارِ "[1]، كل من نازع الله في كبرياءه ونازعه في ملكه قصمه الله:

* فرعون ادعى الربوبية فقال: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾، وادعى الألوهية: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾، و ادعى الملك: ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾

نازع الله في كبريائه وعظمته فقصمه الله وأغرقه في الأنهار التي كان يدعي أنها في قبضته وفي ملكه..!

* قارون نسب النعمة لنفسه وتعاظمت به نفسه نسب النعمة لنفسه ورأى أنه أهلٌ لهذه النعمة ومستحقٌّ لها وقال: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾وما يزال الكبر ينمو ويكبر في نفسه حتى قصمه الله وسلّط الله عليه عقوبة خاصة .. !

خسف به وبداره: ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ زلزال خاص فقط به وبداره دمّره ولم يعبأ الله به..!

* النمرود حاجّ إبراهيم عليه السلام في ربه وادعى الربوبية: ﴿إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ﴾ فجاء في بعض الروايات أن الله سلط الله عليه بعوضة دخلت رأسه فكان لا يهدأ إلا إذا ضُرب رأسه بمطارق من حديد..!

[1]- رواه مسلم

* ذكر الشيخ الطنطاوي رحمه الله قصة حدثت في دمشق قبل خمس وسبعين سنة ولم يكن فيها آنذاك إلا طبيب نسائي واحد..!

كان جبارًا متكبرًا لا يخرج لعلاج المريضة إلا بشريطين:

الأول: أن يتم تسليمه المبلغ كاملًا قبل الكشف على المريضة..!

الثاني: أن لا يخرج إلا بعربة (وكانت دمشق تعاني من قلة العربات)

جاءته حالة ولادة متعسرة جدًا ومع كل الرجاءات والتوسلات لم يخرج إلا بشرطيه

فاضطر أهل المريضة إلى بيع أثاث منزلهم ليوفروا له العربة التي تجرها الخيول ...!!

جمع هذا الطبيب الأموال والثروة وبنى بها قصرًا في دمشق..

تمر الأيام والسنين ويصاب الطبيب بعدها بشلل كامل أفقده الحركة تمامًا..

أول من رفضت خدمته ولم تتحمله هي زوجته وأمرت الخدم أن ينزلوه إلى القبو..

وكانت ترسل إليه بالطعام والشراب ورفضت حتى النزول إليه رغم صراخه ومنادته لها..

وظل ثمانية سنوات على هذا الحال..!

بعد ذلك بدأت تصدر منه رائحة كريهة تأذت منه الزوجة.. فاستأجرت له غرفة خارج القصر وأمرت أن يخرجوه إليها..!

أخرجته من قصره ومن أمواله.. سلبه الله كل شيء..

هذا الطبيب لم يَرحم فلم يُرحم فسلط الله عليه عقوبة شديدة.. سلَّط عليه من يُذلّه ويُهينه وهو عاجز..!

وهذه سنة الله في المتجبرين والمتكبرين وسنن الله ماضية على خلقه ولابد للظالم أن يأخذ جزاءه: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾

الآثار التعبدية لاسم الله " المتكبر":

١- إذا عرف العبد أن ربه هو المتكبر ولا يليق التكبر إلا به يبقى على حذر أن يتلبسه شيء من الكبر، فالكبر من الموبقات المهلكات، قال ﷺ: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر"[١]، وقال رسول الله ﷺ لسراقة: "يا سُراقةُ ! ألا أُخبِرُك بأهلِ الجنَّةِ وأهلِ النارِ..؟ قلتُ : بلى يا رسولَ اللهِ ! قال: أما أهلُ النَّارِ ؛ فكلُّ جَعظريٍّ جوَّاظٍ مستكبِرٍ ، وأما أهلُ الجنَّةِ ؛ فالضعفاءُ المغلوبون"[٢].

٢- الكبر يَطبع على قلب العبد، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾

والطبع هو نوع من أنواع أقفال القلوب بل هو أشدها والله ﷻ إذا طبع على قلب العبد سُدّت منافذه وتجرأ على حدود الله ومحارمه، وقد ورد في الأثر أن القلوب أربعة[٣]:

- قلبٌ أجرد
- قلبٌ اغلف
- قلبٌ منكوس
- وقلبٌ مُصْفَح

١- القلب الأجرد:

هو قلب المؤمن، قلبٌ حيّ فيه سراج ينير لصاحبه، يأبى على صاحبه أن يعيش في هذه الدنيا وهو في ذيل القافلة وآخر الركب..

قلبٌ يشعُّ نورًا ومصدر هذا النور هو القرآن: ﴿وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾

وكلما زاد أخذُ العبد للقرآن وجلوسه مع القرآن وحسن صحبته للقرآن ازداد نوره وأضحى كالشمس بين الناس،

ومن الناس من نوره كالشمس، ومنهم من نوره كالقمر، ومنهم من نوره كالنجم، ومنهم من نوره كالشمعة، ومنهم من لا نور له والعياذ بالله..!

إنما هذه درجات ومنازل ويفضل الله عباده بعضهم على بعض: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾

---

[١]- صحيح الترغيب والترهيب..
[٢]- المنذري في الترغيب والترهيب، والطبراني في الكبير.
[٣]- مسند الإمام أحمد.

٢- **القلب الأغلف :**

قلب مغلف بغلاف الكفر وهو قلب الكافر.. قلبٌ لا يدخله نور الوحي والهداية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾

٣- **القلب المنكوس:**

هو قلبُ المنافق عرف القرآن و طريق الهداية والصلاح ثم أنكر فانتكس وانقلب..!

يعيش في تناقض كبير بين ظاهره وباطنه: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾

٤- **القلب المُصْفَح:**

قلب اجتمع فيه إيمان وضلال.. نور وظلمة.. وهداية ومعاصي.. فإذا غلب الإيمان التحق بأهل الإيمان وإذا غلبته المعصية التحق بأهل المعاصي، وكلما أذنب العبد ذنبا نكتت في قلبه نكتة سوداء.. وتكرار الذنب والإصرار عليه بدون توبة واستغفار يزيد السواد حتى يصبح القلب أسود مربادًا كالكوز مُجخّيًا لا ينكر منكرًا ولا يقرّ معروفًا.

٣- الكِبر سببٌ من أسباب طبع الله على القلب وصرفه عن آياته قال الله تعالى: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ ومن صرف الله قلبه لا يمكن لاحد أن يرده عليه..!

٤- الكبر سبب لبغض الله ومن أبغضه الله بغَّضه إلى الخلق.. فلا يحبه الناس ولا يأنسون به، ولا يطرح له القبول في الأرض..!

٥- إذا عرفت أن الله هو المتكبر الذي له الكبرياء والعظمة وجب عليك التواضع ففي الحديث: "تَوَاضَعُوا حتى لا يَفْخَرَ أحدٌ على أَحَدٍ ، و لا يَبْغِي أحدٌ على أَحَدٍ"[1]..

[1]- صححه الألباني.

* فهناك من يتكبر بحسبه ونسبه وقد قال رسول الله ﷺ "دعوها فإنها منتنة"[1]..

وقد حقَّر النبي ﷺ من شأن المُتكبرين فشبههم بالجُعل (الخنفساء) التي تدحرج النجاسة بأنفها..

وقال رسول الله ﷺ: "يُحْشَرُ المُتَكَبِّرُونَ يومَ القيامةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ في صُوَرِ الرِّجَالِ"[2]

* وهناك من يتكبر بذكائه وفهمه وعقله وعلمه ومواهبه ويتعصب لرأيه ومؤشرات أنه قد جعل لنفسه قدرًا كبيرًا يتعالى به على الناس "**ومن كان في نفسه شيء فهو عند الله لاشيء**"

وإذا سلك العبد هذا المسلك فقد فتح على قلبه باب الكبائر من عجب وأثرة وأنانية..!

* وقد حثّ النبي ﷺ على مُجالسة الضعفاء والعطف عليهم وجبر خواطرهم فقال: " هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم"[3].

فالجلوس معهم والتواضع لهم سببٌ لأمرين: سببٌ للنصر، وسببٌ للرزق..

فيا من تبحث عن الرزق بكل أنواعه سواء الرزق الحسي أو المعنوي فعليك بالضعفة والمساكين.. كلما تواضعت لهم أعزّك الله ورزقك الله، وكان من دعاء النبي ﷺ: " اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحبّ المساكين".

[1]- رواه البخاري ومسلم.
[2]- حديث حسن صحيح.
[3]- صحيح البخاري، رقم ٢٨٩٦

اسم الله " الخالق البارئ المُصوّر":

* الخَلْقُ: هو التقدير..

والعرب تقول: "خلق الأديم" أي: قدَّرهُ قبل أن يقطع الجلد..

فقبل أن يقطع الجلد ويقصه يقدّره هل يريد هذا الجلد مثلًا قربة أو خفًّا أو ماذا...

* البارئ: من البَرءْ وهو الفري، أي: ينفّذ ما قدّره.. فيوجده ويُنشئه على غير مثال سابق له..

فالبارئْ هو: المُوجد المُنشئ.

* المُصوِّر: هو الذي يُصوّر الأشياء والمعنى: يكيّفه على ما يريد [هذا طويل وهذا قصير، هذا أبيض وهذا أسمر، هذا جميل وهذا دميم، وهكذا...]

<u>فيصبح الجمع بين هذه الأسماء الثلاثة:</u>

أن الله إذا أراد خلق شيء قدّره بعلمه وحكمته ثم برأه أي أوجده وفق ما قدّره ثم صوّره على الصورة التي أرادها..

ولله المثل الأعلى: مثلًا مهندس يصمم ومهندس يُنفذ..

وخلق الله مُحكم لا يستطيع مخلوق أن يخلق مثله فضلًا عن أن يخلق أفضل منه: ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾

اسم الله " الحكيم":

* الحكيم في لغة العرب: هو الذي امتنع أن يدخل على رأيه خطأ أو زلل..

والحكمة هي: وضع الأمور في مواضعها وإيقاعها في مواقعها على أحسن الوجوه..

* "وقد تقرر أن الله سبحانه كامل الصفات، له الأسماء الحسنى ولا يكون عن كامل الصفات في ذاته وصفاته إلا الفعل الحكيم؛ ولهذا كان الحكيم من أسمائه الحسنى، والحكمة من صفاته العُلى، والشريعة الصادرة عن أمره مبناها على الحكمة، والرسول المبعوث بها مبعوثًا بالكتاب والحكمة"[1].

* فالحكيم سبحانه لا يدخل في تدبيره خلل ولا زلل، لا يخلق شيئًا عبثًا، ولا يُشرّع شيئًا سُدى، ولا يترك عباده هملًا، له الحكمة في كل أقواله وأفعاله وأحكامه:

فإذا أمرض أمرض لحكمة..

وإذا أغنى أو أفقر لحكمة..

وإذا هدى أو ضلّ لحكمة..

وإذا قدّم أو أخّر أو أعطى أو منع لحكمة، فلله الحكمة البالغة.

* هذا الاسم ينشر الطمأنينة واليقين والثبات في قلب العبد...

فإذا علم العبد أن ربه الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها ويعلم خواصها ومنافعها ويرتب أسبابها ونتائجها اطمأنّ ورضي وسلّم دون اعتراض ولا تسخط وأصبح لسان حاله يقول: [رضينا بالله ربًّا]..

* وإذا علم العبد أن ربه الحكيم ﷻ عرف أن من حكمته أنه لا يُقدّر على العباد إلا ما فيه منفعتهم ومصلحتهم، فالله لم يخلق الخلق ليعذهم أو يُشقيهم بل إن هذه الأقدار التي نزلت ما هي إلا عين الرحمة بهم فرحمته ولطفه لا ينفكان عنه سبحانه وبحمده.

* من علم أن ربه الحكيم وامتلأ قلبه بالرضا عن كل ما أصابه فإن الله سيرضيه، ويهوّن عليه البلاء، ويجعل له فرجًا ومُتنفّسًا من داخل قلبه قبل أن يأتيه الفرج من الأسباب: ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾

[1]- المرتبع الأسنى ص ٤١٤.

* من علم أن ربه الحكيم وأن صفته الحكمة، سأل الله أن يعلمه الحكمة فالله يقول: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، قال ابن عباس ﷺ: " ضمّنى النبي ﷺ إلى صدره وقال اللهم علّمه الحكمة"[1].

* من علم أن ربه الحكيم، دعا إلى الله بالحكمة: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ وأصبح حكيمًا في دعوته وتعامله، وقوله وفعله، وفي كل أموره.

[1]- رواه البخاري.

والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصّالحات...

(٣)

أسماء الله الحسنى

(الربّ - الرحمن الرحيم - الصّمد - الفتّاح
الوليّ - الحفيظ - الوهّاب - الشّكور)

جمع وإعداد :
أ. نجلاء السبيّل

dar-twhid.com
٠٥٤٠٧٠٢٠٠١ - ٢٦١٩٥٦٤

معارج القلب ... إلى حياة الروح

قال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [1] .

و قال تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [2] .

و قال تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [3] .

و قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [4] .

" إن لله تعالى تسعة و تسعون اسمًا مائة إلا واحدًا لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة " [5] .

و في رواية أخرى " إن لله تسعة و تسعون اسمًا : مائة إلا واحد لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة و هو وتر يحب الوتر ".

---

[1] الإسراء ١١٠
[2] طه ٨
[3] الحشر ٢٤
[4] الأعراف ١٨٠
[5] متفق عليه

مقدمة

الحمدلله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

سبحانك الله وبحمدك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا .

قارئي الكريم ..

هذا الإصدار الذي بين يديك ليس من تأليفي وإنما هو جمع جمعته من كلام أخل العلم وإن من أسباب بركة العلم أن يرد الفضل إلى أهله وهاأنذا أرده لأهله راجية البركة و النفع و القبول .

وكم كنت أتمنى وأرجو منذ سنوات أن أطرق باب الأسماء و الصفات لكن خوفي الشديد أن أتصدر لأمر أعلم تمام العلم أنني لست أهلاً له و أن بضاعتي فيه مزجاة وقف حائلاً بيني وبين هذه الأمنية . ولكن كلما سمعت عبارات أهل العلم في شرف هذا العلم فهاهو الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله يتكلم عن التعريف بالله وبأسمائه وصفاته فيقول :" والذي عليّ أن أبلغك به أنها الحلاوة التي لا تدانيها حلاوة ، و ليس لي أبدًا أن أصف لك المذاق ، لأن الحلاوة لا تدرك إلا أن تذاق ... فلتعرف ما هنالك ذق . فاسلك عسى أن تكون من الراشدين ". [1]

ومن قبله ابن رجب رحمه الله يقول [2]" كنز المؤمن ربه " أي أ، الغنيمة العظمى و الكنز الأكبر أن يعرّفك الله بأسمائه وصفاته و أن تستقر هذه المعرفة في قلبك و تتحقق آثارها فيك ، فهذا هو العيش الرغيد و النعيم المعجل الذي يناله العبد في الدنيا قبل الآخرة ، وهذا هو أحلى و ألذ المقامات التي يتقلب فيها المرء و هو ما زال يمشي على الأرض .

تشوقت أن يكون لي حظ و نصيب من هذا الفضل و من هذا العلم و أن لا أُحرم منه فاستعنت بالله و أخذت أدرسها و أفرغ هذه الدروس و من ثمّ أجمع الفوائد و أربط بينها و أصيغها بعبارات سهلة غير متكلّفة وكان أهم ما يشغلني كيف أربط هذه الأسماء بواقع الناس وحياتهم حتى يصبح لها عظيم الأثر فيهم وحتى أنال أجر دلالة العباد على ربهم ، فإن مما حفظته و

---

[1] كتاب " بلاغ الرسالة القرآنية " للدكتور فريد الأنصاري صـ ٩٠ـ بتصرف .
[2] رسائل ابن رجب

درسته أن العبد إذا أحبّ ربــه بصدق اشتغل بدلالة العباد عليه ، فما زلت أطمع أن أكون منهم وفيهم و أن ألحق بركابهم .

ثم بدأت أعرض هذا الجمع الذي جمعته في محاضراتي – على حياء و خجل – لم أعرضه في دروس مستقلة منفردة بذاتها وإنما عرضته من خلال سور القرآن التي نتدبرها في برنامج التدبر الذي افتتحناه في مدرستنا " دار التوحيد لتحفيظ القرآن " التي أسأل الله أن يبارك فيها و في أهلها و طالباتها وفي كل من يرتادها .

و ها هو الجمع الذي جمعته بين يديك فإن وجدت فيه نفعًا و بركةُ فهذا من توفيــق الله و منّته و الفضل كله لله ، و إن وجدت خطأ و نقصًا فمن نفسي و استغفر الله و أتول إليه ، و لا تبخل عليّ قارئي الكريم بنصح و توجيه فقد أخبرتك من البداية أنني أطرق الباب على حياء و خجل

و أجدني أُردد ما قاله الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله في منظومته :

أسيرُ خلف ركاب النُجب ذا عـــــــرجٍ مؤملاً غير ما يقضي به عَرجـــــــــي

و إن ظللتُ بقفر الأرض منقطعًـــــــــا فما على أعرجٍ في ذاك من حـــــــرجٍ

لن أختم مقدمتي قبل أن أقول لك هذه الدروس تحتاج إلى قلب .

اقرأها بقلبك فلعلك أن تترقى في روحانيتها و معارجها ، و لعلها تعرفك بربك معرفة تقودك إليه ، و تقرّبك منه ، ولعلها إن تضفي على قلبك حبًا لا يشبهه حبٌ البته !!

ومن ذاك إحســاس المحب لقلبـــــــه بضربٍ و تحريك إلى الله دائمًـــــــــا[1]

أسأل الله لي ولكم العلم النافع و العمل الصالح و صلاح القلب .

[1] المنظومة السابقة الذكر

للاستفسار و لإرسال أي مشاركة أو تعليق فعلى هذا الرقم :

٠٥٤٠٧٠٢٠٠١ جوال مدرسة دار التوحيد

سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك و أتوب إليك .

أختكم

أم عبدالرحمن

نجلاء

انتهت من كتابته

يوم السبت الموافق ١٤٣٣/٣/٤ هـ

الساعة الواحدة ظهرًا

اسم الله (الفتَّاح)

اسم من أسماء الله تعالى و هو من الأسماء التي تزيد من حب العبد لربه يدل على ثبوت صفة الفتح له سبحانه و بحمده ، ورد مرة واحدة في كتاب الله : ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ [1].

جاء على وصف المبالغة ليدل على أن الله كثير الفتح لعباده .

قال ابن القيّم في نونيته :.

وكذلكَ الفتَّـــــاح من أسمْائـــه ... و الفتّــحْ في أوصافِهِ أمْـــــــرانِ

فتـــــحٌ بحكم وهو شرع إلهِـــنا ... و الفتـــحُ بالأقْدارِ فتحٌ ثـــــــــانِ

و الربُّ فتّاحٌ بذيْن كليهمـــــــا ... عدْلاً و إحسانًا من الرحمـــــــــنِ

[1] سبأ ٢٦

و فتح الله لعباده فتحان :

الفتح العام :

و هو فتـح ما استغلق عليهـم من أمورهم وأسبابهم و معاشهم سواء في الأرزاق أو في الأموال أو في الزواج ، أو في الخصومات . فهو الذي بعنايته ينفتحُ كل مغلق فييسر لهم ما تعسّر عليهم و يقرب لهم ما بعد عنهم ، و يفتح لهم ما أغلق عليهم فهو الفتاح العليم .

فالله بيده مفاتيح خزائن السماوات و الأرض .

قال سبحانه : ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1] .

و المقاليد : مفاتيـــح الرزق في السماوات و الأرض ، فما يفتحه من الخير للناس لا يملك أحد أن يُغلقه عنهم ، وما يغلقه فلا يملك أحد أن يفتحه عليهم كما قال جل وعلا :

﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

فلو فتح الله المطر على الناس فمن ذا الذي يحبسه عنهم ، حتى لو أدّى المطر إلى إغراقهم و إهلاكهم مثلما حدث لقوم نوح عليه الصلاة والسلام فقد وصلت المياه إلى رؤوس الجبال ، فما استطاعوا أن يردوها عن أنفسهم ، ولو حبس عن عباده القطر و النبات سنين طويلة لما استطاعوا أيضًا أن يفتحوا ما أغلقهُ الله سبحانه [2].

الفتح الخاص :

ذلك الفتح الذي يفتح الله به على من يشاء من عباده على حسب ما قام في قلوبهم من الإخلاص و الصدق و التقوى و هو فتح أقفال القلوب ، فتح البصائر ، و يتضمنه قول الله تعالى :

﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ .

قال القرطبي : (و هذا الفتح و الشرح ليس له حد ، و قد أخذ كل مؤمن منه بحظ)[3] .

---

[1] الشورى ١٢

[2] النهج الأسمى (١ / ٢١٢)

[3] النهج الأسمى (١ / ٢١٢)

و هو ما يفيض الله به على قلوب من أختصهم بلطفه و عنايته من العلم و الفهم و الحكمة و البصيرة و السكينة و الأنس و القرب و المحبة و ما يدر عليهم من المعارف الربانية و الحقائق الإيمانية و المقامات الروحانية التي تستقيم بها أحوالهم .

و قد قسم القرطبي الناس في هذا الفتح لدرجات فقال :

يا من فتح الله أقفال قلبه و أفاض عليه بنوره من عنده حل أقفال قلوب جاهلة بمفاتح العلوم وكن مفتاحًا كما فتح الله عليك و أحسن كما أحسن الله إليك .

و إن كنت لم تصل إلى هذا المقام من الفتح و فتح عليك من الرزق الظاهر فكن ذا يدٍ سمحة و قلب مفتاح فإنما تنفق من خزائنه التي لا تغلق و لا يضيع لها مفتاح .

و إن كنت عدمت ذلك فأسعى أن تكون مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : " أن من الناس مفاتيحًا للخير مغاليقًا للشر ، ومن الناس مفاتيحًا للشر مغاليقًا للخير فطوبى لمن جعل الله الخير على يديه ، و ويل لمن جعل مفتاح الشر على يديه "[1] .

و لا شك و لا ريب أن من سمع هذه الأحاديث سيتحرك قلبه شوقًا و طمعًا و يتمنى أن يكون مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر ، و يتمنى أن يكون من أهل طوبى و أن يُجري الله الخير على يديه . نسأل الله من فضله .

كيف تكون مفتاحًا للخير ؟؟[2]

حتى يكون العبد مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر فعلاً و واقعًا و عملاً و تطبيقًا فإنه لا يكفي في ذلك مجرد التمني أو مجرد التحليّ ، بل لا بد من فهم حقيقة الأمر و الإتيان بأسبابه و مقاصده ومنها :

١- رغبة العبد في الخير و نفع العباد :

و المقصود بها النية الصادقة و العزم الأكيد إذ أن النية مؤثرة على العمل و هي الأصل في كل شيء و البداية لكل شيء و المرء يعطى على قدر نيته و قد جاء في الحديث " إنما الأعمال بالنيات " .

---

[1] سنن ابن ماجه

[2] أصل هذا البحث محاضرة للدكتور عبدالرزاق البدر – جمعت في كتيب عنوانه كيف تكون مفتاحًا للخير ، و سنحاول التعليق على بعض النقاط التي ذكرها الشيخ حفظه الله .

فالإنسان إذا أخلص نيته و صحح مقصوده و كان صادقًا قد نصب رغبته في الخير بين عينيه أُعطي مراده و تحقق مطلوبه و حصّل من ربه خيرًا كثيرًا أضعاف ما كان يتصوَّره .

٢- اللجوء إلى الفتَّاح بالدعاء :

من أراد أن يكون مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر فليلجأ إلى ربه الفتَّاح ليفتح عليه فبيده مفاتيح خزائن السماوات و الأرض قال سبحانه : ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

ولا يستكثر على ربه شيئًا أن يفتحه له فالفتح كله من الله و القلوب كلها بيد الله يفتحها متى شاء و لمن شاء ، يقول مطرف بن الشخّير يرحمه الله و هو من العلماء التابعين : (لو أُخرج قلبي و جعل في يساري ، و جيء بالخيرات كلها و جُعلت في يميني لم أستطع أن أجعل شيئًا من هذه الخيرات في قلبي إلا أن يكون الله هو الذي يضعه)[١] .

الله عز و جل قد قسَّم بين العباد الأخلاق و الأرزاق و الأعمال و المواهب و ليس لنا لفتح أبوابها إلا أن نضرع و ننطرح و نلح على الله بالدعاء و كما قال ابن القيم رحمه الله : (كل حير فأصله توفيق الله للعبد و مفتاحه الدعاء) و قد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنه ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء "[٢] .

فأنت محتاج أن تسأل ربك أن يفتح عليك بالعلم النافع و العمل الصالح و أن يشرح صدرك و يأخذ بيدك و يعينك و يقويك ويحسن أخلاقك فلن تكون مفتاحًا للخير بدون أخلاق ، وهذه الأخلاق كما قال بعض السلف :

(إن هذه الأخلاق وهائب و إن الله تبارك و تعالى إذا أحب عبده وهبه منها)[٣] ثم إذا سألت ربك الفتح فقف عند بابه بحسن الانتظار تاركًا الاستعجال فالمتعرض الملح حريٌّ أن يفتح له .

---

[١] حلية الأولياء (٢ / ٢٠١) و سير أعلام النبلاء (٤ / ١٩٠) نقلاً عن كتيب كيف تكون مفتاحًا للخير .
[٢] أخرجه أحمد في المسند و صححه ابن حبان
[٣] كيف تكون مفتاحًا للخير صفحة ١١

٣- العلم النافع :

من أراد لنفسه أن يكون مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر عليه أن يحرص على العلم النافع فالمنهج لكل رابح أن يتعلم . قال تعالى :

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

و البصيرة هي العلم النافع فمن لم يكن عنده علمٌ نافع كيف يميّز بين الحق و الباطل ، و الهدى و الضلال و السنة و البدعة ؟؟

العالم نور ينفع نفسه و ينفع من جالسه و من سمعه و تأمل هذا التشبيه النبوي البليغ : " و إن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب "[١] .

فالكوكب يحيط به هالة من النور كحال العابد ينفع نفسه و ينفع بعض جلسائه ولكن نفعه قاصر على حث الناس على التعبد أم العالم فنوره و أثره كالقمر ، نور القمر يملأ الصحاري و الجبال و الهضاب و السهول و المحيطات فأثر العالم أكبر من أثر العابد ، ينفع أهل بيته و جيرانه و أهل مسجده و ينفع في حله و ترحاله ، وينفع حتى بعد موته يبقى عمله الذي علمه و نشره مات بدنه و بقي علمه لذلك أهل العلم هم أكثر الناس مفاتيحًا للخير مغاليقًا للشر كم و كم من الناس في صحائفهم ؟ هذا انتفع و هذا تغير و هذا تأثر وهذا أقلع عن معصية و هذا تاب ... وهذه بركة الأعمار و كأن الزمان قد طوي لهذا العبد فأخذ أجره و أجر كل من استفاد منه و تعلم منه .

قال صلى الله عليه وسلم : " إن الله و ملائكته و أهل السماوات و الأرض حتى النملة في جحرها و حتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير "[٢] .

---

[١] رواه الإمام أحمد و أصحابه في السنن : انظر صحيح الجامع (٥ / ٣٠٢)
[٢] أخرجه الترمذي – انظر صحيح الجامع رقم الحديث (١٨٣٨)

٤- العناية بفرائض الإسلام – وعلى رأسها الصلاة :

لأن الصلاة مفتاح يستمطر به العبد و يستدر به توفيق الله و فتحه و عونه و مدده النبي صلى الله عليه و سلم كما جاء في صحيح البخاري استيقظ ذات ليلة فقال : " لا إله إلا الله " و في رواية قال : " سبحان الله " ! ماذا أنزل الله هذه الليلة من الفتن ؟! ماذا فتحت هذه الليلة من الخزائن ؟! لا حظ أيها القارئ الكريم ! فتنٌ نزلت ، و أبوابٌ و خزائن خير فتحت فإلى ماذا أرشد عليه الصلاة و السلام بعدها ؟؟ قال : " من يوقظ أصحاب الحُجُراتِ يصلين " .

أرشد إلى الصلاة ..

إذا أردت أن تكون مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر فالله الله في صلاتك إذا أفلحت فيها أفلح سائر عملك و فُتح عليك مع نفسك و مع الناس .

و إذا ضيعتها و طففتها و أنقصتها أُغلق عليك و بُليت بالخسارة و تقول لك : (ضيّعك الله كما ضيعتني) .

(الصلاة نور)[١] كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نور لصاحبها في الدنيا و نور له في الآخرة ، و لكن كثير من قلّ حظه من هذا النور لأننا أصبحنا مؤدين للصلاة و لسنا مقيمين لها ، بالرغم أن القرآن كله قد أمر بإقامة الصلاة ، و الإقامة شيء زائد عن مجرد أداء حركات الجسم بأن تقوم و تركع و تسجد و تقرأ ؟! الإقامة هي حضور القلب في الصلاة و الخشوع فيها ليعظم حظك من هذا النور .

فكيف يريد من يثقل رأسه عن الصلاة أن تتفتح له أبواب الخير ؟؟ لا سيّما صلاة الفجر التي هي بداية اليوم و أساسه و زمامه و أوله ، و هذا الوقت الذي هو متنزل الأرزاق و متنزل الفتح و البركات فمن خسر صلاة الفجر أُغلقت الأبواب دونه ، و سدت الأرزاق عنه .

إذا كانت السنة الراتبة قبل الفجر " خير من الدنيا و ما فيها "[٢] كما ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فما بالك بصلاة الفجر نفسها ! ماذا سيحصل بها العبد من الخيرات و البركات و الفتح و التوفيق ؟؟

قال صلى الله عليه وسلم : " من صلى الصبح فهو في ذمة الله و حسابه على الله "[٣] .

---

[١] رواه مسلم و غيره صحيح الترغيب و الترهيب (١ / ٢٧٧)
[٢] رواه مسلم و الترمذي – صحيح الترغيب (١ / ٣٧٩)
[٣] رواه الطبراني في الكبير و الأوسط – صحيح الترغيب (١ / ٣١٤)

و كل من يريد أن ينفع الناس و يقف على قدميه للناس لا بد أن يستعين بالصلاة و أن يأخذ من نفس الزاد الذي أخذ منه الأنبياء و هو : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ و لا سيّما قيام الليل فهو الزاد الذي يكفل لك أن تثبت و تقــوى و تستمر :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) ﴾ .

٥- مجاهدة النفس على البعد عن الآثام :

إذا أنت لم تستطع أن تغلق باب الشر و الإثم عن نفسك فلن تستطيع أن تغلقه على غيرك و تكون مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر .

روى الإمام أحمد – في مسنـده – عن النواس بن سمعان رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " إن الله ضرب مثلاً صراطًا مستقيمًا ، و على جنبتي الصراط أبواب ، وعلى الأبواب ستورٌ مرخاة و في أول الصراط منادي ينادي : يا عباد الله ! أدخلوا الصراط و لا تعوجوا ، و من جوف الصراط – و في لفظ – و من فوق الصراط منادٍ ينادي يا عبد الله ! لا تفتح الباب فإنك إن تفتحه تلجهُ ، ثم بين ذلك فقال : أما الصراط فهو الإسلام ، و أما السوران فحدود الله ، و أما الأبواب التي عليها ستور مرخاة فمحارم الله ، و أما المنادي الذي ينادي من أول الصراط فكتاب الله ، و أما المنادي الذي ينادي من جوف الصراط أو من فوق الصراط فواعظ الله في قلب كل مسلم "[١] .

على ضوء هذا الحديث ..

من أراد أن يكون مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر و يصل للجنة فعليه أن يسير في هذا الطريق المستقيم ، و ليعلم أن على جنبتي هذا الطريق أبواب كثيرة عن يمينه و عن يساره ، و هذه الأبواب عليها ستورٌ مرخاة ليست أبواب فيها مغاليق و لا مفاتيح و لا أقفال و إنما عليها ستائر فقط فهي لا تحتاج إلى جهد و لا تعب و لا وقت مجرد أن يشد الستارة سيدخل مباشرة . و المقصود بهذه الأبواب التي عليها الستور المرخاة : أبواب الحرام و الشر و المعاصي و الفتن

[١] مسند الإمام أحمد

، فهي كثيرة عن اليمين و الشمال و الدخول إليها سهلٌ و ميسر فإذا استسهلت شددت الستار و دخلت في باب من هذا الأبواب فقد فتحت على نفسك باب الشر أولاً .

و لأن النفس من طبعها أنها إذا دخلت و ولجت و توطدت في الحرام وتمكن منها لا تحب أن تكون وحدها فيه ، بل ستدعو غيرها معها و تفتح باب الشر عليه ثانيًا . و يتحول الإنسان من فاعل للحرام إلى داع للحرام مُرغِّب فيه و العياذ بالله فيكون بذلك مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير .

وكما قال الإمام الشاطبي رحمه الله :

(طوبى لمن مات و ماتت معه ذنوبه و الويل لمن يموت و تبقى ذنوبه مائة سنة و مائتي سنة يعذب بها في قبره و يُسأل عنها إلى انقراضها)[1] .

٦- الاستباق إلى الخير ، و مرافقة الأخيار – و لا تحقرن ما فتح الله عليك من أبواب الخير :

لن يكون الإنسان مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر إلا إذا كان هو بذاته معتنيًا بالخير سباقًا إليه كما قال شعيب عليه السلام لقومه : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ و أن يكون حريصًا على مجالسة الصالحين الأخيار فهذه الصحبة تقوي عزيمته و تعلي همته و تعينه على الخير و تثبته عليه و الناس كأسراب القطا يقلد بعضهم بعضًا و الصاحب ساحب و الطبع سرّاق .
و النبي صلى الله عليه و سلم قال : " إنما مثل الجليس الصالح و الجليس السوء كحامل المسك و نافخ الكير ، فحامل المسكِ : إما أن تبتاع منه ، و إما أن تجد منه ريحًا طيبة و نافخ الكير إما أن يحرق ثيابك و إما أن تجد ريحًا خبيثة "[2] .

و أبواب الخير كثيرة متنوعة فمن فُتح عليه بباب فيلزمه و كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (من بورك له في شيء فليلزمه)[3] .

---

[1] نقلاً عن كتاب كيف تطيل عمرك الإنتاجي
[2] البخاري (٥٥٣٤) ، و مسلم (٢٦٢٨)
[3] نقلاً عن كتاب (شكرًا لكم أيها الأعداء) د. سلمان العودة

اِلزمه حتى لا يحال بينك و بينه فإن من لم يغتنم يحرم و لا تحقرن من المعروف و الخير شيئًا و لو كان قليلاً فمثقال ذرة من الخير ينفعك الله بها و هذا الخير القليل سيفتح لك أبواب أخرى من الخير اكبر و أكثر فالحسنة تنادي أختها و الله عز و جل يقول : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ و النبي صلى الله عليه و سلم يقول : " ما فتح رجل باب عطيةٍ بصدقةٍ أو صلةٍ إلا زاده الله تعالى بها كثرةً "[1] .

و مهما عملت و تحقق من الخير على يديك فاجعل نصب عينيك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴾ فإن من علامة قبول العمل نسيانه و استصغاره ، و استحضر عظيم منّـة الله عليك أن اختارك واصطفاك و أجرى هذا الخير على يديك و يكفيك ما بشرك به رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة و من يسّر على معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا و الآخرة و من ستر مسلمًا ستر الله عليه في الدنيـا و الآخرة و الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه "[2] .
و استمع و تأمل أيها القارئ الكريم لهذا الأجر العظيم لباب من أبواب الخير أيضًا : " و من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ، ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزول الأقدام "[3] .

الله أكبر ما أعظمه من أجر و من ثواب و إياك أن تنتظر شكرًا من أحد فمن طلب العوض من الناس أبطل معاوضته مع الله .

وما عند الله خير و أبقى

و الله يقول : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[4] .

---

[1] السلسلة الصحيحة (٢٢٣١)
[2] رواه مسلم و أبو داود و حسنه الألباني في صحيح الترغيب (٢ / ٧٠٦)
[3] رواه ابن أبي الدنيا و حسنه الألباني (٢ / ٧٠٩)
[4] المزمل ٢٠

ثم نختم هذا المبحث بأخر وصية :

لك يا من فتح الله عليك أبواب الخير و قضاء حوائج الناس احذر أن تتذمر أو تتململ أو تمتنع فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال :
" إن لله عند أقوام نعمًا أقرها عندهم ما كانوا في حوائج الناس مالم يملوهم فإذا ملوهم نقلها إلى غيرهم "[1] .

فمن جعل الله حوائج الناس إليه فلم يقم بها أوشك الله عز و جل أن يرفع منه إلى غيره .

و في الختام أسأل الله بأسمائه الحسنى و صفاته العلى أن يفتح علينا أجمعين من واسع فضله و عظيم عطائه و أن يجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر و أن يجعلنا مباركين أينما كنا .

[1] رواه الطبراني و حسنه الألباني في الترغيب (٢ / ٧٠٧)

اسم الله (الصمد)

قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾ .

- **الصمد** اسم ورد ذكره في القرآن مرة واحدة في سورة الإخلاص
  اسم كما ترى بالغ الهيبة ،قوي الحروف، شامخ المعنى ،ذو جلالة خاصة[١]

- **الصمد** : السّيدُ الذي كَمُلَ في سؤدده ، ولهذا كانت العرب تسمي أشرافها بهذا الإسم ، لكثرة الصفات المحمودة في المسمى به .

- **الصمد** من تصمد إليه القلوب بالرغبة والرهبة لكثرة خصال الخير فيه وكثرة الأوصاف الحميدة له
  لهذا قال جمهور السلف ومنهم ابن عباس رضي الله عنه : الصمدُ السيدُ الذي كَمُلَ في سؤدده فهو العالم الذي كمل في علمه ، القادر الذي كملت قدرته ، الحكيم الذي كَمُلَ حُكمه ، الرحيم الذي كملت رحمته ، الجواد الذي كَملُ جودُه..[٢]

فكل المخلوقات تصمد إليه بحوائجها .. الحوت في البحر يصمد إليه ، الطير في السماء يصمد إليه ، الحجر يصمد إليه ، الشجر يصمد إليه ، الماء يصمد إليه ، حتى البهائم تصمد إليه .

(بكى أحد العباد حين رأى بهيمة تعسرت ولادتها و أعترض جنينها في بطنها و هي بهيمة لا تعرف أن تشتكي و لا تنطق و لا تتأوه و لكنها رفعت عينيها إلى السماء و ذرفت دموعها .. صمدت لربها فبكى العابد و قال : حتى البهائم صمدت ونحن لم نصمد)[٣] .

---

[١] كتاب لأنك الله للشيخ على الفيفي ص ١٣
[٢] المرتبع الأنسى ص ٣٦٦
[٣] القصة نقلاً عن شرح الشيخ (خلف العنزي) شرح أسماء الله الحسنى في دورة ابن باز العلمية التي أُقيمت في جدة عام ١٤٢٥ هـ

- سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحصين- شيخٌ أعرابي – كم تعبد يا حُصين ؟ فقال : سبعة ستةٌ في الأرض وواحدٌ في السماء ، فسأله ومن لرهبك ؟ قال : الذي في السماء قال من لرغبك ؟ قال : الذي في السماء

فقال له صلى الله عليه وسلم : فاترك الذين في الأرض و اعبد الذي في السماء ، فأسلم الحصين

لأن من تصمد إليه وقت الرهبة و الرغبة هو وحده من يستحق أن تسجد له[1]

<u>كيف نصمد لله ؟</u>

١- ركيزة هذه العبودية أعني عبودية الصمدية هي دوام الافتقار للحي القيوم مع كل الأنفاس

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ .

هذا الافتقار يجعلك تقطع من قلبك كل أحد سوى الله لأن كل ما سوى الله فهو مخلوق .. و ما دام أنه مخلوق فمن صفاته الضعف و العجز و النقص و الزوال و الملل.. فمن كانت هذه صفاته فليس من الحكمة إذًا أن تصمد إليه في حوائجك و نوازلك .

علمك بصفات ربك .. فكلما كنت بصفات ربك أعلم كنت له أعبد و إليه أفقر و أذل و أطوع فمن عرف ربه بالغنى المطلق عرف نفسه بالفقر المطلق و من عرف ربه بالقدرة التامة عرف نفسه بالعجز التام .. و من عرف ربه بالعز التام عرف نفسه بالمسكنة التامة .

فأكمل الخلق عبودية أعظمهم شهودًا لفقره و ضرورته و حاجته لربه و عدم استغنائه عنه طرفة عين و لهذا كان من دعائه صلى الله عليه وسلم (أصلح لي شأني كله و لا تكلني إلى نفسي طرفة عين)[2] .

فالله عز و جل لا غنى لك عنه طرفة عين ، و كل شيء أردت تحصيله فاجعل الله لك صمدًا تقصده و إياك إياك أن تحط رحالك عن أحد .
أو أن تلتفت بقلبك إلى أحد ..
أو أن تتوكل على أحد ..

---

[1] كتاب لأنك الله ص١٦

[2] رواه البخاري في الأدب المفرد

بل اجعله و حده مطلوبك و غايتك و مقصودك و أملأ قلبك به .
و اعلم أنه ما من شعبة من شُعب القلب تُعطى لمخلوق إلا و يأتي النكد و الخذلان منها ، فالعبد يبتلى بما استغنى به ، و كلما ارتفع العبد بمتعلقات الدنيا اكتوى بنارها .

٢- قارن بين قرب الله منك و قرب المخلوقين منك (فكل أحد هو بعيد عنك مهما كان قريبًا إذا قارنت قربه بقرب الله فالله أقرب إليك من نفسك و أقرب إليك من حبل الوريد) .
و قد وصف نفسه جل جلاله في كتابه و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أنه " قريب " قال تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ .

و ثبت في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه و سلم في سفر فكانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير فقال : (أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ و لا غائبًا إنما تدعون سميعًا قريبًا ، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته) .
فهو قريـب من كل أحد ، مجيب إجابـة عامة للداعين مهمـا كانوا ، و أينما كانوا على أي حالٍ كانـوا و هو (المجيب) إجابة خاصة للمجيبين له المنقادين لشرعه ..
و هو " المجيب " أيضًا للمضطرين و من أنقطع رجاؤهم من المخلوقين و قوي تعلقهم به طمعًا و رجاءً و خوفًا "[١] ... فلماذا نصمد للبعيد و نترك الصمود لمن هو منا قريب ؟؟

٣- قارن أيضًا بين طلبك من المخلوقين و طلبك من الخالق ..
فالطلب من المخلوق يظل ثقيلاً و صعبًا مهما كان هذا المخلوق كريمًا محسنًا .. فكثرة الطلب منه و الإلحاح عليه قد توقع في نفسه الملل و السآمة منك .
بينما كثرة الطلب من الخالق و الإلحاح عليه تدخلك زمرة المحبوبية .. فالله يحب المُلحّين بالدعاء

لا تسأل بنـي آدم حاجـــــــــــــة ... و سل الذي أبوابـــــــــــه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤالـــــــــه ... و بني آدم حيـــــــــن يسأل يغضبُ

[١] تفسير الكريم بواسطة المنهج الأسمى (٢ / ٣٠٢)

ثم اجمع مع حبه جل جلاله لمن يسأله و يلح عليه حياؤه من رد من يدعوه و يطلبه قال صلى الله عليه و سلم (إن الله حييّ كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرًا)[1] .
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (حياءُ الرب تعالى من عبده نوعٌ لا تدركه الأفهام و لا تكيّفه العقول فإنه حياء كرم و برٌ و جود ، فيستحي سبحانه أن يمد أحد يديه إليه سائلاً متذللاً ن يردهما خائبتين خاليتين) ... فكيف إذًا لا تصمد إليه ؟

٤- **ثم تأمل كيف أن الله تبارك و تعالى غني عن عباده** و مع ذلك فهو محسن إليهم رحيم بهم و هذا من كمال غناه و كرمه و رحمته .
أما العباد فإنهم يحسنون إلى بعضهم البعض لتعلق مصالحهم بذلك إما عاجلاً أو آجلاً .
(فالمخلوق لا يقصد منفعتك بالقصد الأول بل إنما يقصد انتفاعه بك و الرب تعالى إنما يريد نفعك لا انتفاعه بك .. و ذلك منفعة محضة لك خالصة من المضرة ، بخلاف إرادة المخلوق نفعك فإنه قد يكون فيه مضرةً عليك و لو بتحمل منتّه) .. قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾.

٥- **و العبد المخلوق لا يعلم مصلحتك حتى يُعرّفه الله إياها** ، و لا يقدر على تحصيلها لك حتى يقدره الله تعالى عليها ، و لا يريد ذلك حتى يخلق الله فيه إرادة و مشيئة فعاد الأمر كله لمن ابتدأ منه ، و هو الذي بيده الخير كله و إليه يرجع الأمر كله .. فلماذا تتوجه القلوب و تصمد لغيره ؟

و جماع هذا أن تعلم :

(أن الخلق كلهم لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، و لو اجتمعوا كلهم على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك)[2] .

إذًا هذه المعاني إن فهمتها و عقلتها و أدركت أبعادها تربيك على الصمدية لله تعالى في صغير الأمر و كبيره .

---

[1] صحيح الترغيب (٢ / ١٣٥)
[2] حديث صحيح أخرجه أحمد و الترمذي (النهج الأسمى بتصرف ٢ / ٢٢٩)

قال ابن السعدي رحمه الله في قول " الله الصمد " : (أي المقصود في جميع الحوائج فأهل العالم العلوي و السفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار يسألونه حوائجهم و يرغبون إليه في مهماتهم) .
قيل عن رجل من بني إسرائيل : أن له صنمًا يعبده منذ ثمانون عامًا فمرض له ولد فكان يطوف بصنمه و يقول : يا صنم اشف ولدي ، و يكررها يا صنم اشف ولدي و ما شفي ولده !! و أخطأ ذات مرة فقال : يا صمد اشف ولدي فشفاه الله .. فقالت الملائكة : يا رب عبدك مشرك لا يدعوك و إنما يدعو صنمًا يعبده من دونك ، فقال الله عز و جل : " وهل في الوجود صمد غيري "[1] ..
انظر و تأمل إذا كان الله استجاب لكافر قد أخطأ بلسانه و لم يقلها و هو صادق معتقدٌ بها ، و مع ذلك أجاب الله صموده ، فما بالك بمن توجه إليه بقلبه و قالبه مخلصًا مضطرًا و نادى و قال : يا صمدْ .. فهل يرده الله ؟ مستحيل أن يردّه .. فمن كان لله كان الله له ، و الله عز و جل لا يخيب عبدًا أحسن الظن به و صمد إليه و فزع إليه ، و بث شكواه و حاجته إليه .

لكننا فقط نحتاج إلى يقين .. فنحن ما أوتينا إلا من قلة يقيننا و من فساد قلوبنا .. ما ضرنا إلا عدم معرفتنا بربنا ، و عدم ثقتنا به .
فلو أننا عرفنا ربنا حق المعرفة : لأيقنا بالإجابة و لأيقنا بالفرج ، و لأيقنا بالعطاء و بالنصر .. و بعظيم الخلف و عظيم العوض .. و لكن البلاء فينا و المرض فينا ، و في عجز قلوبنا و في سوء ظننا بربنا و صدق ربي إذ يقول : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ .

خرج موسى عليه السلام بقومه ، البحر أمامهم و فرعون و جنوده خلفهم ، فقال قومه : ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾، لا شك و لا ريب فإن لم يهلكنا البحر فسيهلكنا فرعون و جنوده ..
و لكن موسى عليه السلام ما تزعزع يقينه بربه ، و لا قل و لا نقص .. رد عليهم بعبارة الواثق بربه فقال : ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ .

[1] القصة مأخوذة من شرح فضيلة الشيخ محمد علي الشنقيطي في تفسيره لسورة الإخلاص

أمام هذا اليقين العظيم جاءت الإجابة فورية .. في لحظات .. في طرفة عين أصبح البحر أرضًا يابسة .. ! قال تعالى : ﴿ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ .. بمـــاذا تحول و بماذا تبدل ؟ بالثقة بالله ، باليقين بالله ، بقوة العقيدة بالله ..

قال صلى الله عليه وسلم : (القلوب أوعية بعضها أوعى من بعض فإذا سألتم الله عز و جل فاسألوه و أنتم موقنون بالإجابة فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل)[1] .

انظر لزكريا عليه السلام لما دخل المحراب على مريم و رأى الرزق عندها و هو لم يقدمه لها : ﴿ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا ﴾ ؟ .. " فأجابته : ﴿ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

هذه العبارة التي قالتها مريم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ أطمعت زكريا في ربـــــه ..

زادت يقينه :
بأن الله يعطي بغير حساب
و أن الله يعطي بدون أسباب
و أن الله يعطي هبة من عنده و إن عزّت الأسباب .. أو فقدت الأسباب ..
فلما عظم يقينه طلب من ربه ولدًا بالرغم أنه لا يملك مؤهلات الطلب فهو كبيرٌ في السن ، و امرأته عاقر ، لا يمكن أن تنجب في المنطق البشري القائم على الأسباب .
و هذه قمة العجز في الأسباب و مع ذلك دعا ربه قائلاً : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾

و قطع نظره في كل الأسباب و وضع أمله كله في الله .. و استوهب ربه و الهبة عطاء من الله بلا مقابل .. فانظر كيف جاءت الإجابة .. قال تعالى :

﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى ﴾

[1] صحيح الترغيب (٢ / ١٦٥٢)

لم تنتظره الملائكة حتى ينتهي من صلاته و يخرج من محرابه بل بشرته و هو ما زال قائم فيه .. !!

لتعلم يقينًا : أنّ ﴿ اللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

و لتعلم إن الله إن فتح لك باب رحمة فلا يستطيع كائنٌ من كان من البشر أن يغلُقه عليك ..
و إن جاء العطاء إن جاء من عند الله فلا تسأل عنه لأنك لن تدرك سعته و عظمته و قدره : ﴿ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾ فهذا زكريا عليه السلام بعد أن وهبه الله الولد أفاض عليه بنعمة أخرى و هي تسميته ؛ فإن كان كل الآباء يسمون أبناءهم فإن الله تعالى قد سماه له وكان أول إنسان يحمل هذا الاسم فلم يُسم به أحد من قبل ﴿ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ .

ثم تأمل اسم " يحيى " الذي اختاره الله عز و جل و كأنه يشير أن هذا المولود لا بد أن يحيا حياة متميزة و قد قال بعض المفسرون : إنه اسم مشتق من الحياة فهو حيٌّ في قلبه و حيٌّ في روحه و إيمانه ، إذ لم تُمت المعاصي و الذنوب قلبه كما أماتت كثيرًا من ولد آدم .. و حيٌّ لأن الله أحيا به رحم أمه .. و حيٌّ لأن الله أحيا به الناس بالهدى ..
و من ثم يقتل هذا النبي شهيدًا .. و هو بالشهادة أيضًا يصير حيًا فكأنه يحيى دائمًا ، فالشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ..

هذه القصة تعلمك درسًا عظيمًا في اليقين بالله و تقوي عبودية الصمدية في قلبك و تجعلك تعيش مع هذه المقولة بفهم دقيق فقد قيل في الحكمة قديمًا : (من كان له أبٌ فلا يحمل همًا .
فكيف إذًا بمن له ربٌ) ؟
السماءُ سماؤه و الأرض أرضه و ما بينهما في قبضته ..
هل يشرّق أو يغرّب أو يظل يدور حول نفسه كلما استصعب عليه أمر أو أُغلق عليه باب ؟
من فهم معنى اسم الله " الصمد " و عرف حقيقة هذه الصمدية سيختصر الطريق على نفسه كثيرًا ..

و سيجعل الله عز و جل قِبلُة قلبه .. وهمه مقصوده هذا هو الصمود لله إنه من أرجح المكاسب للعبد ، فهو كسبٌ دنيوي في غاية النفاسة .. و كسب أخروي غاية في العلو و الارتفاع ..

لماذا هو أرجح المكاسب ؟؟

لأن من أعظم الدلائل التي تشير على تحقيق التوحيد هو دعاء الله في كل آن و في كل حين ، دعاء مسألة ، و دعاء عبادة .. دعاء بالحال و دعاء بالمقال ..
فالعبد إذا تحقق و تيقن أن الله قادر على كل شيء فإنه يكثر و يلح في دعائه .. و كلما ضعف يقينه قل دعائه ، و قل إلحاحه و قل سؤاله لربه .
و إذا كانت الجنة تنال بالتوحيد فمن باب أولى غايات الدنيا و أماني الدنيا مهما كانت ، و مهما تعددت تنال بالتوحيد أيضًا فبالتوحيد تتحقق الغايات .
ما من عبد صادق في توحيده ، و صادق في ذله ، و انكساره و انطراحه بين يدي ربه ، و صادق في يقينه و لجأه و حسن ظنه ثم يخذله ربه أو يخيبه حاشاه جل جلاله .. فمن صدق مع الله صدقه الله ..

يقول يوسف بن أسباط (ما صدق عبدٌ لله إلا صنَع له) ، أي أعانه ووفقه ودبر أمره ويسره .. بل إن هذا العبد الصادق لو أُطبقت عليه السماوات و الأرض بكل ما فيها سيجعل الله له من بينها فرجًا و مخرجًا !!

فإن كنت تريد أن ترى نموذجًا حيًا أمامك لعبد أطبقت عليه الأبواب و أُغلقت فعش مع كعب بن مالك رضي الله عنه في سورة التوبة بعد عودة رسول الله من غزوة تبوك التي تخلّف عنها كعب فهجَرَهُ رسول الله صلى الله عليه و سلم و صحابته و كل أهل المدينة لا أحد يكلمه بأمر من رسول الله صلى الله عليه و سلم ..

يقول كعب عن نفسه : (فأتي و أسلم على رسول الله و لم أدر أَحرَك شفتيه بالسلام أم لا ، و إذا كنت أُصلي نظر إليّ بعينيه " يعني رسول الله " فإذا نظرتُ إليه أعرض و يمر على ابن عمه أبا قتادة رضي الله عنه فيسلم عليه فلا يرد عليه السلام طاعة لله و رسوله و كان أبو قتادة من أحب الناس إليه فبكى كعب بن مالك و أخذ يلحق بابن عمه و يقول : أنشدك الله هل تعلم أني أبغض الله و رسوله فسكت ابن عمه و لم يجب ، أعادها عليه ثانية فسكت ، ثم أعادها ثالثةً ، فقال : الله أعلم .. فرجع كعب بدموعه و ضيق نفسه و ما لبث إلا أن تأتيه رسالة من ملك الروم ابتلي بلاء عظيم فوق هذا البلاء الذي هو فيه : (بلغَنا أن صاحبك قد جفلَك فالحقْ بنا نُواسِك : ... فقال كعب : فقلت هذا من البلاء فأخذ الورقة إلى التنور و أحرقها ، أمام كل

هذا الألم و العناء النفسي و الضيق الذي و صفه الله عز و جل في كتابه : ﴿ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾ الأرض على سعتها و مروجها و سهولها ضاقت عليه و على صاحبيه ، و اجتمع ضيقها مع ضيق صدورهم عليهم و ياله من ضيق ؟؟ حتى إن ضيق المكان أحيانًا يهون أمام ضيق الصدر و إطباقه على صاحبه !! فأين سيفر هذا الإنسان من صدره الذي بين جنبيه ؟)) .

لكن كعب بن مالك نجح في الابتلاء ، قدم الله على مغريات الدنيا ، صمد إلى ربه و انتظر الفرج...

فما هي إلا ليالي معدودات بعد كل هذا الضيق و بعد كل هذا الإغلاق فإذا بالمنادي ينادي يا كعب بن مالك أبشر .. فقد فرج الله عنك ..

أبشر .. فقد تاب الله عليك ..

أبشر .. فقد استجاب الله دعاءك ..

لقد كان العطاء و الفرج فوق ما يتصوره كعب رضي الله عنه و فوق ما يتخيل .. لقد نزل فيه قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة

استحضارك لصفات الكمال التي وصف الله بها نفسه في كتابه ، ثم ترديدها على لسانك و في دعائك ...

فتقول : يا رب أنت قلت و قولك الحق : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾

و أنت قلت و قولك الحق : ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

و أنت قلت و قولك الحق : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ..

يا من جمعت بين يوسف و يعقوب و يا من رددت موسى إلى أمه ..

يا من جعلت النار بردًا و سلامًا على إبراهيم ..

يا من لا يعجزه شيء في الأرض و لا في السماء ..

يا من لا يتعاظمه شيء أن يعطيه .. و هكذا ..

هذا الاستحضار لصفات الله و الدعاء بها يوصلك إلى عبودية الصمدية...

يوصلك إلى أن يصمد قلبك ...

اسم الله (الرب)

- من فهم اسم الرب وفهم تربية الله لعباده تغيرت نظرته للحياة ، فتربية الله لعباده لاتعدلها تربية ، وهي تربية لا توجد في الكتب و المناهج ، بل يجدها من فهم أسماء الله وصفاته

- اسم الرب تكرر كثيرًا في القرآن بما يقارب من مائة وواحد وخمسين مرة .

- وهو يدور حول ثلاث معان

السيد .. المصلح .. المالك

- السيد ⟵ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لاتقولوا للمنافق سيدًا فإن السيد هو الله)

- المصلح ⟵ يُقال : ربّ الشيء أي أصلحه

وقول الله تعلى : { ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الناس الكتاب وبما كنتم تدرسون}

الربانية : هي الإصلاح .... و الربانيون : هم المصلحون للناس بالعلم والحكمة

-
- المالك ⟵ ومنه قول عبدالمطلب " أنا رب الإبل وللبيت ربٌ يحميه "

ومعنى الاسم في حق الله عز وجل : أي أن الله مالك الخلق وسيدهم ومربيهم ومصلحهم

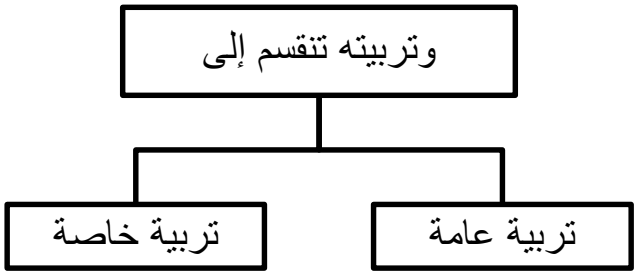

التربية العامة :

كل الخلائق يدخلون في هذه التربية .. فهو الذي خلقهم و أمدهم و دبرهم بما فيه صلاح ذواتهم و أجسادهم و معاشهم ..
فالشمس تشرق على الكافر و المؤمن ، و المطر ينزل على الذين يعبدون الله و يعبدون الأوثان ، الهواء يتنفسه من قال لا إله إلا الله و من لم يقلها .. كل هذا العطاء فهو " عطاء الربوبية " ..
و أركان هذه الربوبية قائمة على :
(الخلق – الملك – التدبير – العلم) ..

وهي مبنية على رحمته الواسعة الشاملة التي تعم جميع خلقه ، و تسع جميع عباده .. و يدل عليها اسم
(الرَّحْمَنُ) قال تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ و منه قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) ﴾ .
فهذة التربية تكون بالخلق و الرزق والتدبير ولا يمنع منها أحد من عباده .

التربية الخاصة :

هي تربية لأصفيائه بإصلاح قلوبهم و أرواحهم و أخلاقهم و أعمالهم فيغذيهم بالإيمان ويخرجهم من الظلمات للنور ، وييسر لهم كل خير ، ويحفظهم من كل شر.
لذلك كان أكثر دعائهم بهذا الإسم الجليل (ربنا-ربنا) يطلبون هذه التربية الخاصة[1]
تأمل في أدعية الأنبياء في القرآن ، وتأمل في الدعاء الذي ورد في آخر سورة البقرة-و آل عمران
ما الذي تكرر فيها ؟؟ ربنا ربنا ربنا
يارب ربّنا بالإيمان ، ربّنا بما جاء في كتبك ، ربنا بما أرسلت به رسلك
يارب ثبتنا ، ويارب اهدنا ، ويارب اصلحنا
كله طلبٌ لهذه التربية الخاصة ليرقيهم الله شيئًا فشيئًا وينقلهم من حال التقصير إلى الكمال .

[1] أسماء الله الحسنى جلالها ولطائف اقترانها ص٣٧ بتصرف

و قفة مع تربية الله لعباده :

١- الله يربي عباده بالمنع ويربيهم بالعطاء (ونبلوكم بالشر و الخير فتنه)
الألم يُربينا ، الفقد يربينا ، المرض يربينا ، الحزن يربينا ، القبض و البسط يربينا ، التقديم و التأخير الاقبال و الادبار الإغلاق و الفتح ..
كلها صورٌ من تربية الله لنا

٢- الله يربي عباده بما يجري عليهم من الأقدار مهما كانت هذه الأقدار في نظرهم أنها مؤلمة و شاقة و قاسية و فيها من الفقد ما فيها . و فيها من المنع ما فيها إلا أنه يسوق لهم مصالحهم فيها من حيث لا يحتسبون و لا يشعرون .
أي أن صورة الرحمة في هذه التربية الخاصة (رحمة فيها لطف) .. فيسوق لهم الخير و هم لا يتصورون أنه خير ..
الإشكال أن معنى الرحمة طبع في أذهاننا بأنه العطاء و تتابع النعم .. بينما رحمة الله تتنوع على عبده ، فقد يرحمه فيعطيه .. و قد يرحمه فيبتليه ..
فالله حكيم عليم ، لا يفعل شيئًا عبثًا و لا يقدّر شيئًا سدى ..

كم مُنع الإنسان من لذات و أمنيات يشتهيها ما علم أن الله بمنعه إياها يرفع درجاته ..
كم حُرم مما أحب و ما علم أن الله قد حرمه من أجل أن يصلح قلبه ..
كم أُبتلي بمكروه في نفسه أو بدنه أو ولده أو زوجه و كان هذا الابتلاء سببًا في استقامته ، و رجوعه لربه .
وسببًا في صلاح حاله .. و تنمية حسناته .. و تكفير سيئاته .. و هذا هو لطفه ..

فربنا يقول في محك كتابه : ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ﴾.

٢- و أنت في طريق فهمك لتربية الله ثمة حقيقة يجب أن لا تغيب عن ذهنك أبدًا .. و هي أن العبد لا بد أن يُبتلى فالابتلاء من سنن الله في الكون .. قال تعالى :

٣- ﴿ الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) ﴾..

و ليست العبرة بالابتلاء العابر البسيط الذي سرعان ما يزول .. و إنما العبرة بتكرار الاختبار و بتكرار الابتلاء و تقلبه فيه حتى يظهر معدنه ، فكما أن الذهب يجرب بالنار ، فالعبد الصالح يجرب بالبلاء .. و الله عز وجل إذا أراد بعبده خيرًا و مَضِي في الطريق ؛ قلّبه في أمور الدنيا و في الابتلاءات حتى يشتد عوده ..

تأمل في قصة موسى عليه السلام لتدرك هذا المعنى جيدًا ..

انظر للأقدار التي تقلّب فيها موسى منذ ولادته ..
انفصاله عن أمه ، إلقاؤه في اليم و هو طفل رضيع .. و هذا مظنة هلاكه ولكنه يصبح عين نجاته بـــأمر الله .. يأمر الله البحر أن يقذفه على الساحل قريبًا من قصر فرعون حتى يحيا موسى بالرغم من أن فرعون كان يقتل الأولاد الذكور من بني إسرائيل خوفًا على مُلكه .. و لكن الله إذا أراد شيئًا هيأ له أسبابه ..
لما أراد الله أن يحيا موسى هيأ السبب فقذف في قلب زوجة فرعون محبته ، فقالت :

﴿ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ ﴾

و القلب مخلوق جندي من جنود الله لا يملك إلا أن ينفذ ما أمره الله به ، بإرادة الله تربى موسى في قصر فرعون فلما أصبح شابًا حصلت حادثة قتله لذلك القبطي " من أهل مصر " ففر هاربًا خائفًا لا يعرف إلى أين فهو لم يخرج من مصر قبل ذلك !

وصل إلى أرض مديَن ، ومديَن كما يُقال أنها " تبوك " اليوم ، و هذا يعني أنه مشى حافيًا على قدميه ما يقارب الألف كيلومتر ليس معه أحد و لا يأكل إلا ورق الشجر .. و صل إلى ماء مديَن و سقى للمرأتين و بقي في مديَن عشر سنوات يعمل أجيرًا راعي غنم عند أبيهما

ثم خرج من أرض مديَن عائدًا إلى أرض مصر في ليلة مظلمة باردة .. شاتية .. و معه أهله .

يضل الطريق بقدَر الله فيرى نارًا أنِسَ برؤيتها لأنه شعر بوحشة و خوف في هذه الليلة المظلمة ..

﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ ﴾ " أي بشعلة تستدفئون بها " أو أجد عند النار من يدلني على الطريق .. فلما وصل عندها .. ما الذي وجده ؟؟
نودي يا موسى إني أنا ربك ..

تأمل ..

عبدٌ .. مخلوق .. ضعيف .. ضلّ طريقه في ليلة باردة شاتية .. ذهب يبحث عن نارٍ يستدفيء بها .. ثم عاد و هو كليم الله **!!!**

أيّ منزلة رفيعة .. و أيّ منة عظيمة جليلة تحصّل عليها بعد أن تقلب في كل هذه الأقدار و الابتلاءات .

٤- و اعلم أيضًا أن الله إذا أراد أن يهبك منزلة .. أهّلك للوصول إليها .... وكل ما كانت المنزلة أرفع و أعلى كان البلاء أعظم
أبو الأنبياء و سيد الحنفاء إبراهيم عليه السلام الذي مدحه ربه أنه صاحب قلب منيب ..
﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾ .. صاحب هذا القلب الذي مُليء رأفة و رحمة و رفقًا ..
هذا القلب الرحيم الذي يرحم الناس أجمع حتى إنه من رحمته يكاد يمسك الملائكة أن تعذب قوم لوط ..

بماذا أُبتلي ؟

" اذبح ولدك " .. و أي ولد هذا ؟ ولدٌ أتاه على كبر .. و بعد شوق و رغبة و دعاء و تضرع ، وبعد أن شب و أحبه أبوه حبًا شديدًا و تعلق قلبه به .. جاء الابتلاء الشاق حتى أن الله سماه
﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾ ، الذي أظهر صدق إبراهيم رغم شدته فلما استسلم إبراهيم لربه ، و انقاد لأمره و نجح في الاختبار ، جاءته البشرى ..
﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) ﴾ ..
و استحق أن يكون خليل الرحمن ، و يحظى بمنزلة الخُلة ..

- انظر لرسول الله صلى الله عليه وسلم و أصحابه في الحديبية .. حين أراد الله أن يُمكّن لدينه و يدخل الناس في دين الله أفواجًا .. و أراد أن يعطي رسوله صلى الله عليه و سلم تلك المنقبة العظيمة التي لا يشاركه فيها أحد من العالمين

﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [1]..

حين أراد الله أن يمن عليهم بغنائم دنيوية أخرى أكبر من مجرد دخولهم مكة ليعتمروا ..
لما أراد الله لهم كل هذه العطاءات و المنازل أجرى عليهم قدره .. و إن كان في ظاهره أنه محنة و بلاء شديد أصاب المسلمين فأحزنهم .. و آلمهم .. و شعروا بالمهانة و الذل .. و انتصار المشركين عليهم لأنهم ولكنهما لما صبروا و استسلموا لله رضوا بقدر الله .. توالت النعم عليهم ..

فكل من قبِل بتربية الله له ، و رضِي عن فعل الله فيه .. توالت عليه النعم ..

- **أيضًا و أنت تتربى بتربية الله لك لا بد أن تفقه أمرًا مهمًا ..**

بأنه سبحانه و تعالى إذا سد عليك بحكمته طريقًا فتح لك برحمته طريقًا آخر هو أنفع لك ..

يقول ابن القيم رحمه الله :
(تأمل حال الجنين في بطن أمه يأتيه غذاؤه من طريق واحد ، و هو السرة و لما خرج من بطن أمه انقطعت تلك الطريق ، و لكن فتح الله له طريقين اثنين و أجرى له بهما رزقًا أطيب و ألذ من الأول .. لبنًا سائغًا خالصًا .. و إذا تمت مدة الرضاع انقطع هذان الطريقان بالفطام ، ففتح الله له أربعة طرق ، طعامان و شرابان .. و إذا مات انقطعت هذه الأربعة فإن كان سعيدًا فتحت له ثمانية طرق هي أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء) .
فتأمل ..
٦-يربي الله عباده بتصريف الآيات لهم ، أي : بالتنبيهات و النُذُر و الآيات التي يرسلها لهم ، ليلفت أنظارهم ، لينبههم حتى يفوقوا ويستيقظورا و يتداركوا أنفسهم يقول تعالى { وما نرسل بالآيات إلا تخويفا}
هذه التخويفات ربما تكون ..

- نظرات يخاف منها ، نظرات تلاحقه ، تعاتبه ، تلومه ، و كأنها تقول له أنت مذنب
- تصريف الآيات أحيانًا قد يكون بخوف يُنشر في قلبه (يمكن سمعوني ، يمكن شافوني ، يمكن عرفوا ، يمكن و يمكن ...)
مجرد خوف مزعج ينشر في قلبه حتى يستيقظ
- أحيانا قد يكون بأزمة يدخله الله فيها يذوق مرارتها وخوفها وغصتها و يتزلزل فيها ثم يخرجه الله منها بألطف و أيسر الطرق ، ليعلم أن الله قادرٌ عليه و أنه لا يُعجزه ، ولكنه يُمهله، ويُنظره ، ويكرر عليه الفرص ...
- قد تكون التربية بعُسر في مواطن يُسر ، أو بتغير أحوال من حولنا علينا بصد أو منع أو جفاء أو أذية أو تسلط ، ولا يكون من أكثرنا إلا أن نتهم الناس مباشرةً و ننسى أنه لربما أن ثمت تقصير قصرناه في حق من حقوق الله أو في حق من حقوق البشر ، فمن غيّر غيّر الله عليه ومن بّدل بّدل الله له ...
- أحيانًا تكون تربية الله بأن يمر عليى الإنسان مواقف و أحداث تعرّيه أمام نفسه تظهر له خبيئة قلبه و سريرته وما فيها من نقص أو فساد أو لوثات وكل إناء بما فيه ينضح { أم حسب الذين في قلوبهم مرضٌ ألن يخرج الله أضغاثهم ..}

٧- كيف يفهم العبد تربية الله له بالعقوبة التى تنزل عليه بعد الذنب ؟؟ و كيف يفهم لطف الله فى هذه التربية ؟؟

- **أولاً :**

يعلم يقينًا أن ربه لم يظلمه ، بل هو سبحانه جل جلاله حكمٌ عدل .. قدوس منزه عن العيوب و النقائص و الظلم .. و إنما عامله بعدله و هو مستحق لما نزل به .. ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾..

- **ثانيًا :**

و أن حكمته ظاهرة في عدله ، فالله عز و جل حكيم يعاقب عبداه بما ينفعهم و بما يطهرهم وبما يُصلح أحوالهم فينظر للعقوبة أنها رحمة ما أراد الله بها إلا صلاحه ..

- **ثالثًا :**

يقبل تربية الله له و لا ينظر للقدر من زاوية واحدة فقط .. و هي زاوية العقوبة و الألم ، و إنما ينظر للقدر بتعدد الحكم ، حتى يرى لطف الله و رحمته به ..
فيه و إن كانت عقوبة إلا أن الله أعطاه معها الكثير من الفضائل ، فهي تطهير و تمحيص ، و تكفير .. و رفعة حتى ينتقل للآخرة و ما عليه ذنب ..
يقول صلى الله عليه و سلم : (ما يزال البلاء بالمؤمن و المؤمنة في نفسه و ولده و ماله حتى يلقى الله و ما عليه من خطيئة) .. [1]

و يحمد الله أن عجلها له في الدنيا و لم يؤخرها له .. فعذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، بل لا مقارنة بينهما ..
قال صلى الله عليه و سلم : (إذا أراد الله بعبده الخير عجّل له العقوبة في الدنيا ، و إذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يُوافى به يوم القيامة) [2].
و كل ما قَبِلت تربية الله لك أراك الله آثار رحمته ، آثار لطفه بك ..

- **رابعًا :**

إذا اختار العبد أن ينظر للقدر على أنه نقمة ، فسيكون عليه نقمة **!!** فالمعاملة تدور مع الظن كما قال المناوي رحمه الله[3] ، و الله يعامل عبده بما ظن فيه فمن حسن ظنه بربه وفّى له ما ظن و أمّل ، ومن تشاءم و أساء الظن فالعقوبة إليه سريعة و المقت له كائن لقول الله عز و جل : " أنا عند ظن عبدي بي إن خيرًا فخير و إن شرًا فشر " إن ظن بي خيرًا فله ما ظن و إن ظن أني أفعل به شرًا فله ما ظنه .
عاد الرسول صلى الله عليه و سلم أعرابيًا كان يتلوى من شدة الحمى فقال له النبي صلى الله عليه و سلم مواسيًا مشجعًا له على احتمال المكروه الذي نزل به " طهور " و لكن الأعرابي رد قائلاً : (بل هي حمى تفور ، على شيخ كبير لتورده القبور) ..
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فهي إذن .. أي كما تظن ..

---

[1] السلسلة الصحيحة ،صحيح بمجموع طرقه
[2] صحيح الترمذي ،حسن صحيح
[3] الجزاء من جنس العمل (٢٤٨)

ثمرة معرفة هذا الاسم :

١- أن يعلم أن لا مربي على الحقيقة إلا الله وحده ، و أ، تربية الله لاتعدلها تربية البشر .
٢- ان يجعل له حظًا من التخلق بهذا الاسم فيُحسن تربية من جُعلت تربيته إليه ، بأمره و مصالحه ، فيرقيه شيئًا شيئًا ، و طورًا طورًا .
٣- أن يوحد ربه و يدعوه باسمه الرب ويطلب من ربه هذه التربية الخاصة ، كما كان غالب دعاء الأنبياء الذي ورد في القرآن بهذا الاسم .

دعا آدم عليه السلام و حواء به ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾.

دعا به نوح عليه السلام ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ .

دعا به إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

دعا به عيسى عليه السلام ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾.

٤- أن يفهم أن تصريف الله للآيات من جهة هو دعوة للتوبة والعودة و الاستغفار ، ومن جهة أخرى هو إقامة الحجة على عبده ، فقد نُبهت مره و اثنان وثلاث و لايهلك على الله إلا هالك .

اسم الله (الرحمن الرحيم)

اسمان من أسماء الله تعالى ، مشتقان من الرحمة .
قال صلى الله عليه وسلم : (قال الله تعالى أنا الرحمن خلقت الرَحِم و شققت لها من اسمي ، فمن وصلها وصلتهُ و من قطعها بَتَتُّهُ)[1] .
قال ابن عباس رضي الله عنه : " هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر : أي أكثر رحمة.
و الرحمة : هي الصفة التي وصف بها ربنا نفسه و استوى بها على عرشه و كتبها على نفسه و بذلك تكون هذه الصفة هي أهم صفاته جل جلاله و يكون هذا الاسم الذي يحمل تلك الصفة أهم أسمائه .
قسمت هذه الصفة بين اسمين ؛ الأول : **" الرحمن "** ، و الثاني : **" الرحيم "** و ذلك لانقسام الناس في باب الرحمة .
فرحمة الله واسعة وسعت كل شيء و لكنها تصل إلى بعض و يُحرم منها البعض ، فأصبحت الرحمة تتضمن أمرين :

الأول : السعة و الشمول ، و الثاني : الوصول .
" فالرحمن " دل على الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات فما من أحد إلا و هو يتقلب في رحمة الله آناء الليل و أطراف النهار ..
و يدخل في هذه الرحمة الخلائق أجمع إنسهم و جِنهم مؤمنهم و كافرهم ، البهائم ، الدواب ، و كل الخلق .. العاصي و هو يعصي يرتكب معصيته ، متلبس بمعصيته ما زالت رحمة الله تحيط به ، ما زال يتنفس ، و ما زالت الرئة تعمل و الكلى تعمل و الكبد تعمل و أعضاءه كلها تعمل .. ما زال الله يرحمه .
الجنين في بطن أمه و هو في ذلك المكان المنقطع المظلم تحفه رحمة الله و يأتيه غذاؤه .

النُعّاب (فرخ الغراب) و هو في عشه قد تركه أبواه و أنكره لأنه خرج أبيضًا لا يشبههما يسوق الله له برحمته نوع من الدود يقف على منخاره فيلتقمه و يقتات عليه حتى يسودّ ريشه فيرجع إليه أبواه فيألفانه و يلقطانه الحب ... رحِمه ربه و ساق له رزقه .

البهائم ترفع حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه ، الوحوش و السباع تعطف على أولادها ، من الذي بث الرحمة بين عباده و مخلوقاته منها يتعاطفون و بها يتراحمون إنه الله الرحمن الرحيم

[1] رواه أحمد و الترمذي وهو صحيح

- و دعنا أيها القارئ نعيش مع صورة وردت في السنة لتتجلى لك رحمة الله .. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قدم على النبي صلى الله عليه و سلم سبي فإذا امرأة من السبي تحلّب ثديها تسقي ، إذا و جدت صبيًا في السبي أخذته فألصقته ببطنها و أرضعته فقال لنا النبي صلى الله عليه و سلم : " أترون هذه طارحة و لدها في النار " قلنا : لا و هي تقدر على أن لا تطرحه فقال : " لله أرحم بعباده من هذه بولدها "[1] .

أم فقدت رضيعها في السبي ، تحلّب ثديها أي امتلأ ثديها بالحليب ، و لا يخفى عليك الألم الذي تشعر به الأم من تجمع اللبن في ثديها ..

اجتمع على هذه الأم ألمٌ جسدي من تحلب اللبن في ثديها ، و ألمٌ نفسي – و هو الأشد – بفقدها لرضيعها .

(تحلب ثديها تسقي) يقول بعض الشرّاح لهذه العبارة من الحديث : (أنه من شدة الألم الذي في هذه المرأة ما عادت تصبر و كأنها فقدت عقلها فأي طفل رضيع تجده في السبي تأخذه و تحتضنه و كأنه ابنها فتعطيه شيئًا من لبنها ليخف الألم عنها ثم تعطي طفلاً آخر و هكذا .. حتى وجدت ابنها .. (فألصقته بصدرها) .. و تأمل لم يقل حضنته أو وضعته أو حملته ، قال : " ألصقته بصدرها " و هذا أشد ما يكون من الضم و الحضن و الرحمة و الشفقة بطفلها فأسقته لبنها ..
أمام هذا المنظر المعبر و المؤثر و رسولنا صلى الله عليه و سلم أعظم مربي لأصحابه سألهم : " أترون أن هذه الأم – مع كل هذه المحبة العظيمة – يمكن أن تلقي بطفلها هذا الذي ألصقته إلصاقًا بصدرها أيمكن أن تطرحه في النار ؟ "
قالوا : لا يا رسول الله .
قال صلى الله عليه وسلم : " لله أرحم بعباده من هذه بولدها " .
مهما قدّرت أن إنسانًا فيه رحمةً بك و عليك فاعلم يقينًا أن رحمة الله بك أكبر من أي رحمة .. و أعظم من أي رحمة .. و أوسع من أي رحمة ..
فالله قال عن نفسه :

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ ، ﴿ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴾ ، ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾

الرحمة هي أوسع الأبواب على الإطلاق وهو باب الله الأعظم الذي من طرقه فُتح له وولج منه ..

[1] متفق عليه

- **أما الرحمة الخاصة الواصلة التي أشار إليها اسم " الرحيم " :**

اختص بهذه الرحمة المؤمن و حرم منها الكافر .. فربنا تبارك و تعالى يقول : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ و لم يقل رحمانًا ..

و قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢) ﴾ .. و لم يقل نزلاً من غفور رحمٰن ،و الرحمة الخاصة لاتكون إلا لخواص عباده المؤمنين ، فيرحمهم الله تعالى في الدنيا : بتوفيقهم إلى الهداية ونصرهم على أعدائهم ، ودفع الشرور و المهالك عنهم ، ويرزقهم الحياة الطيبة ، وفي الآخرة بدخولهم للجنة و التمتع برؤية الله عز وجل[1]

و قفة مع (آثار هذين الاسمين على العبد فى حياته و كيف يتربى بهما ؟)

١- أن الإنسان كلما قرأ الفاتحة و ردد على نفسه أن الله هو " الرحمن ، الرحيم " ، قد كتب على نفسه الرحمة و أن رحمته سبقت غضبه .. و فهم و فقه مدلول هذه الرحمة أنها شاملة تشمل تفاصيل حياته .. واصلة تصل إليه في أي مكان و على أي وضع و تحت أي ظرف .. هذا كله يجعله يعقد عزمه على إرادة الدخول في رحمة ربه ، و يكرر طلب هذه الرحمة لأنه محتاج لها ، بل هو أفقر ما يكون إليها .. فيطلبها فقرًا و ذلاً و إلحاحًا .. " يا رب تغمدني برحمتك " ..

٢- و من جهة أخرى استشعاره بهذه الرحمة يجعله ينظر لربه بعين الرجاء دائمًا .. يجعله يؤمل في ربه كثيرًا .. و يثق برحمته أنه لن يخذله و لن يسلمه و لن يطرده إن هو عاد إليه .. مهما كانت ذنوبه..

[1] الأسماء الحسنى جلالها ولطائف اقترانها ص ٤٢ -بتصرف

حتى و إن كان له ذنب هو مقيم عليه سنين من عمره ، حتى و إن كان له ماضيًا سطّر فيه ما سطر .. كل هذا يدفعه بيقينه و ثقته برحمة ربه الواسعة الشاملة الواصلة التي لا تنقطع عن عباده أبدًا ..

ها هو الحجَّــاج الذي سفك من دماء المسلمين ما سفك في ساعة الاحتضاروعندما بدأ يعاين الموت و سكراته أخذ يستدر رحمة ربه ويقول : " يا رب ارحمني فإنهم يظنون أنك لا تفعل " .

الله أكبر ما أعظمه من توسل ، و ما أعظمه من رجاء خاصة إذا قاله العبدُ و هو مقبلٌ على ربه .

و كان من دعاء عمر بن عبدالعزيز رحمه الله (اللهم إن لم أكن أهلاً لرحمتك فإن رحمتك أهلٌ أن تبلغني ، رحمتك وسعت كل شيء و أنا شيء فلتسعني رحمتك يا أرحم الراحمين) .

٣- و أعظم ما ترحم به نفسك أن تزكي نفسك .. فالله مدح من كان هذا عمله .. قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ و أن ترتقي بها إلى الكمال ، و تشرفُ بها إلى المعالي ، فلا يرضى بالدون إلا دني ..
فقد قال صلى الله عليه و سلم لأصحابه : " إن الله تعالى يحب معالي الأمور و يكره سفسافها "[١] .

صحيح أننا لا نفترض الكمال – فالكمال عزيز – و لكن على الأقل يصبح الكمال هدفًا من أهدافك تسعى لتحصيله و الوصول إليه ، و الذي يريد المعالي و يطلب المجد لا بد أن يأخذ بأسباب المجد ..

ألــم تـــــر أن الله قال لـــــــمريم إليك فهـــزي الجذع يساقط الرطـــــــــب

و لـــــو شاء أن تجنيه من غير هزها جنته و لكن كل شيء له ســـــــــــــبب

و من هنا كان لزامًا أن تتعب على نفسك كثيرًا فتؤدبها و تهذبها و تصقلها حتى تصل بها إلى مقصودك و غايتك .. فكل رقي و كل صعود يحتاج إلى تعب و عناء .. و المصالح و الخيرات و اللذات و الكمالات كلها لا تنال إلا بحظ من المشقة و لا يعبر لها إلا على جسر من التعب ..

فقل لمرجـــــــــــي معالي الأمور بغير اجتهـــــــــــــاد رجوت المحالا

[١] رواه الطبراني و صححه الألباني (علو الهمة ١٣٠)

و أنت فى طريقك لهذا الهدف ..

ابدأ أول ما تبدأ بإصلاح سريرتك و تزكية باطنك ، و تخلية قلبك من نفسك ، فالتغـــيير دائمًا يبدأ من الداخل .. قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ ..

- ثم تتدرج معها ، فإن استعصى عليك خُلق تكلّفه في البداية حتى يصبح مع الزمن و كثرة الدُربة عليه ملكةً لك .. و صفة من صفاتك ..
و تجد هذا التدرج من تأملك في كتاب ربك فإنك سترى من سنة الله في خلقه التدرج و عدم إعطاء الشيء دفعة واحدة .. فالله لا يعجل لعجلة أحد من خلقه ..
و من فهمك لقول رسول الله صلى الله عليه و سلم : إنما العلم بالتعلم و إنما الحلم بالتحلم ..
فإن أردت أن تكون حليمًا لا بد أن تتكلف في كظم غيظك ..
و إن أردت أن تكون حكيمًا لا بد أن تتكلف في صبرك و أناتك و عدم عجلتك .. و هكذا ..

- و أنت تتدرج و أنت ترتقي لا بد من نقص – و لا بد من تقصير – فكن رفيقًا بنفسك فلا تحبطها بل منّيها .. و عدها بأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، و كن صبورًا على نفسك ، و تعلم هذا الصبر من صبر الرب على عباده و تكرار تربيته لهم ..

قال صلى الله عليه و سلم : " ليس أحد – ما أحدٌ – أصبر على أذى سمعه من الله فإنهم يدعون له ولدًا و إنه ليعافيهم و يرزقهم "[1] .. فهذه الفضائل لن تحصلها في يوم و ليلة ، و بين عشية و ضحاها ، بل لا بد من صبر و مصابرة و مجاهدة و مرابطة .. قال تعالى :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .. فإن كان عندك صبر و مصابرة و مرابطة فأنت موعود بالفلاح ..

[1] متفق عليه

- اخفي سقطاتك و زلاتك ، و فشلك و احباطاتك و ماضيك عمن حولك ، فالله عز و جل ستّير يحب الستر و أولى هذا الستر أن تستر أنت على نفسك .. و تذكر أنه ما من أحد إلا و قد زل و تعثر ، و لكن ليست العبرة بنقص البدايات و إنما العبرة بكمال النهاية ..

- استصحب معك دائمًا .. (بأن الله ينجي العبد بما انطوت عليه سريرته) ..
فالقضية قضية قلب ، و ما حواه هذا القلب ، وما قام في هذا القلب ، فكما يقول الرافعي : (الإنسان عند الناس بهيئته و حليته التي تبدو عليه ، و لكنه عند الله بهيئة قلبه ، و ما هذا الجسم من القلب إلا كقشرة البيضة مما تحتها ، فيالها من سخرية أن تزعم القشرة لنفسها أن بها هي الاعتبار عند الناس لا بما فيها ..)[1] .

- ثق بأنك إن صدقت مع ربك في إرادة صلاحك و تزكية نفسك و سعيك لمعالي الأمور تريد بذلك أن تبلغ درجة مرضية عند ربك ؛ فإن الله سيحفظ لك هذا الصدق و يعاملك به بل و يشكرك عليه .. فمن كان لله كما يريد .. كان الله له فوق ما يريد ..

قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ..

- اعلم أن الله هو رحمٰن الدنيا و الآخرة ورحيمها ، فأقبل عليه عابدًا شاكرًا سائلاً و ادعُ ربك في كل شيء ..
استمع لهذا الحديث بقلبك .. فتح الله على قلبي وقلبك
قالت السيدة عائشة رضي الله عنها دخل عليّ أبو بكر رضي الله عنه فقال : هل سمعتِ من رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاءً علمنيه ؟ قلت : ماهو ؟ قال : " كان عيسى ابن مريم يعلمه أصحابه قال : لو كان على أحدكم جبل ذهب دينًا ، فدعا الله بذلك لقضاه الله عنه
اللهم فارج الهم ، كاشف الغم ، مجيب دعوة المضطرين ، رحمن الدينا و الآخرة ورحيمهما أنت ترحمني ، فارحمني برحمةٍ تغنيني بها عن رحمةٍ من سواك ..
قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : وكانت علي بقية من الدِّين ، وكنتُ للدين كارهًا ، فكنت أدعوا بذلك ، فأتاني الله بفائدة فقضاه الله عني ، قالت عائشة رضي الله عنها : كان لأسماء بنت عميس عليّ دينار و ثلاثة دراهم ، فكانت تدخل على فأستحي أن أنظر في وجهها لأني لا أجد ما أقضيها فكنت أدعو بذلك فما لبثت إلا يسراً حتى رزقني الله

[1] وحي القلم (١ / ٢٣٠)

رزقًا ماهو بصدقةٍ تصُدّق بها عليَّ ، ولا ميراث ورثته فقضاه الله عني ، وقسمت في أهلي قسمًا حسنًا ، وحليت ابنة عبدالرحمن بثلاث أواقٍ ورق وفضل لنا فضل حسن .[1]

- رحمتك بمن حولك هي سبب من أسباب رحمة الله بك ، فقد بين رسول الله صلى الله عليه و سلم أن رحمة الله ينالها عباده الرحماء : (إنما يرحم الله من عباده الرحماء)[2] فالإنسان لا يشقى بمثل نزع الرحمة من قلبه ، فلا تُنزع الرحمة إلا من شقي و العياذ بالله.

قال صلى الله عليه و سلم : " من لا يرحم الناس لا يرحمه الله "[3] .
فمن خلى قلبه من الرحمة و لم يرحم والدًا و لا ولدًا و لا زوجةً و لا مسكينًا و لا يتيمًا و لا ضعيفًا .. و لم يعن مكروبًا و لا مهمومًا و لا مظلومًا فمن باب أولى أن لا يرحمه الله ..

فإنك إن رحِمتَ الخلق و أحسنت إليهم رحمك رب الخلق ..

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾..

[1] رواه الحاكم وقال حديث صحيح
[2] متفق عليه
[3] متفق عليه

اسم الله (الولِّي)

الولّي : هو المتولي لأمر خلقه القائم على تدبير مُلكه .

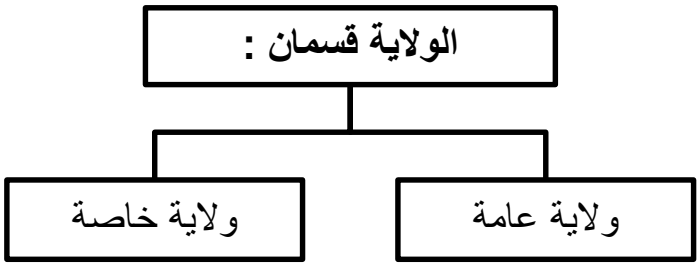

<u>الولاية العامة :</u> يدخل فيها جميع الخلق و هي تقتضي تصريف المقادير و تدبير أمور الخلق ، فالله هو الذي يُعطي و يمنع ، و يُعز و يُذل ، و يخفض و يرفع ، و يقدر الأرزاق و المقادير .

هذه هي الولاية العامة أي أن يتولى أمر عباده بلا منازع و لا مضاد .

قال تعالى : ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ،

و قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ .

<u>الولاية الخاصة :</u> هي ولاية عظيمة و تولٍ كريم .

هي ولاية عصمة و عناية ، ولاية نصرة و محبة و قرب و كفاية ، ولاية توفيق و تثبيت و حفظ و دفاع .

هذه الولاية لها آثار تظهر على العبد منها :

١- أن الله إذا تولى عبده أخرجه من الظلمات إلى النور

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾

فإذا وقع هذا العبد في شيء من ظلمات الجهل و الغفلة و نسيان الآخرة أو انزلقت قدمه في شيء من أمور الدنيا و المعاصي أو أصابه الفتور و الكسل فإن الله لا يتركه بل يستدركه و سرعان ما ينتشله و يرفعه و يخرجه مما وقع فيه أو يرسل له من يوقظه و يأخذه بيده إليه و هذه من ولايته له .

٢- إذا تولى الله العبد فإنه يدبر أمره و يكفيه كفاية لا نظير لها

و يكفي أن نستشهد بقصة الزبير بن العوام رضي الله عنه أحد المبشرين بالجنة لما حضرته الوفاة قال لابنه عبدالله : (يا بني اقضي عني ديني) كم كان دينه ؟؟ ألف ألف و مائتا ألف ، دين كبير لا تفي به أموال الزبير !!

ثم قال له : (فإن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه بمولاي ، قال عبدالله : يا أبتي من مولاك ؟؟ فقال : الله ، فيقول عبدالله : (و الله ما وقعت كربة من دينه إلا قلت : يا مولى الزبير اقضي دينه فيقضيه عنه)[١] .

طلب ولاية الله فتولاه الله و قضى عنه دينه بل و بارك له في بقية ماله فورثت كل زوجة من زوجاته ألف ألف ..

إذا تولاك الله بارك لك و إذا بارك لك فليس لبركته منتهى سبحانه و بحمده .

[١] الفتح – كتاب المناقب

٣-إذا تولى الله العبد فإن العناية الربانية تحوطه من كل جانب ، من فوقه و من تحته و من أمامه و من خلفه و في صغره و في كبره .

و تأمل قول الله لموسى عليه السلام : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ تتربى على نظري و في حفظي و ولايتي و حمايتي ، رباه تربية خاصة ، و أنشأه تنشئة خاصة .

رباه في قصر عدوه دون أن يمسه أحد بأذى ، ألقى الله محبته في القلوب ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾ فلا يراه أحد إلا و يحبه ، حرّم الله عليه المراضع فلم يقبل ثدي امرأة قط إلا أمه **!!** فرده الله إليها و فرعون هو بنفسه من يدفع أجر الرضاعة و يحتفي بهذه المرضعة **!!**

عصمه الله من الانحرافات و الظلم و الفساد الذي كان في قصر فرعون فما كان يتنقل من مرحلة إلى مرحلة إلا و عناية الله تحوط به و ما هي إلا ولاية الله له .

٤- إذا تولى الله العبد صرف عنه الوساوس و الهواجس و الشكوك و النزغات و سلم قلبه و إيمانه

و هذه نعمة كبيرة يوم أن يسلم لك قلبك ، فهذه الوساوس و الأفكار و الواردات و النزغات تهجم على الإنسان بدون استئذان و ربما لا يستطيع ردها و لا صرفها في بعض الأحيان فيتألم بداخله و يضطرب قلبه و يتزلزل ، فإذا تولاه الله لا يلبث أن يصرفها عنه ، و يكشفها عنه ، فيحفظ عليه دينه و إيمانه و يربط على قلبه .

و تأمل حين حصلت غزوة أُحد و رجع عبدالله بن أبي سلول زعيم المنافقين بثُلث الجيش ، بعض المؤمنين اضطربت قلوبهم و هم (بنو حارثة و بنو سلمة) و همّوا أن يرجعوا و يتركوا الجهاد مع رسول الله و الآية تصور لك المشهد ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ هذا الهم مكانه في القلب شيء خفي لا يعلمه الناس و لكن الله مُطلع على هذه القلوب و ما يدور فيها من الخطرات و النيّات و المقاصد و الواردات و إذا علم الله من عبده صدقًا تولى أمره و صرفها عن قلبه .

٤) إذا تولى الله العبد عصم جوارحه و أعانه عليه و سخرها له في طاعته

يقول الله في الحديث القدسي : " و ما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه و لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، و بصره الذي يُبصر به و يده الذي يبطش بها ، و رجله التي يمشي بها "[١] .

يُعان على السمع فلا يسمع حرامًا ، يُعان على البصر فلا ينظر إلى حرام ، ولا يخطو خطوة إلى حرام ، و لا يتعلق قلبه بحرام و لا شبهة و لا شهوة ، يُعطي البركة فيما يكتبه و يصنعه بيده و يقوله بلسانه و يمشي إليه برجله بمعنى يُوفق في غدوه و رواحه و عمله و قوله ، وممشاه و مجيئه و يُسدد و يُبارك له و كل هذه معونة من الله و هذا العون صورة من صور ولاية الله .

و لا يظن أحد أنه سيكون وليّ الله و هو لم يتأهل لهذه الولاية .

من هم أولياء الله ؟؟

لم يترك الله عز و جل المجال للناس في تعريف من هو الوليّ ، و لكن الله عرّف به فقال : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) ﴾ .

الوصف الأول لهم الإيمان الخالص بالله ، و الوصف الثاني تقوى الله عز و جل .
و إذا نظرنا للحديث القدسي السابق " من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب ، و ما تقرب إلي عبدي بشيء ... " الحديث .
نخرج أيضًا بوصف ثالث لأولياء الله و هم الذين يتقربون إلى الله بما يقربهم إليه .

قال الحافظ بن حجر (المُراد بوليّ الله العالم المواظب على طاعته المُخلص في عبادته)[٢] .

و الباب مفتوح أمام الناس للدخول في ولاية الله عز و جل ، و الولايـــة مراتب و درجـات ، قال تعالى :

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ .

---

[١] البخاري – كتاب الرقاق
[٢] الفتح ١٤ / ١٢٦ نقلاً عن قواعد و فوائد من الأربعين النووية ناظم محمد سلطان

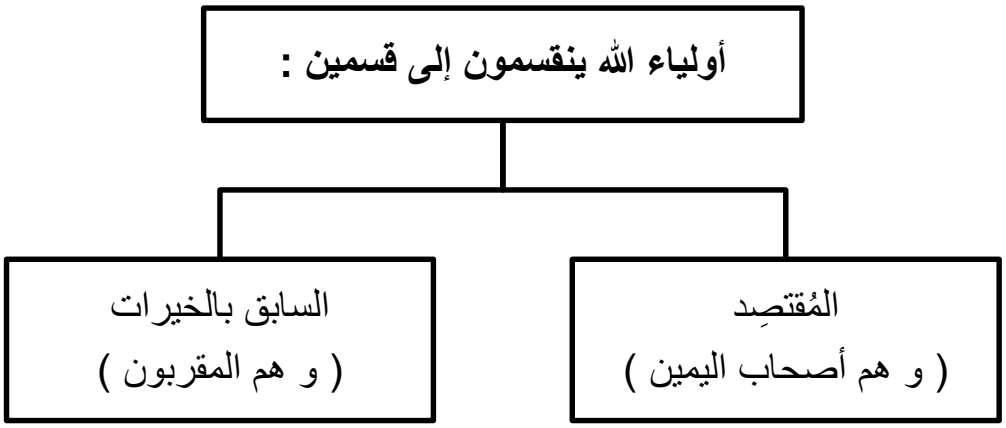

المُقتصِد : هو الذي يقتصر على فعل الفرائض و الواجبات و ترك المحرمات ، حريص على صلاته و زكاته و صيامه و جميع ما فرض الله عليه ، ما يُنقِص منها شيء لكنه لا يزيد عليها ، فهو قد يترك المستحبات (النوافل) و يقع ببعض المكروهات .
هذه هي الدرجة الأولى في الولاية (ما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه) .

السابق بالخيرات : و هو أعلى من درجة المُقتصِد .
فهو يتقرب إلى الله بأكثر من الفرائض ، عنده اجتهاد في النوافل و زيادة في الطاعات ، عنده مسابقة و مسارعة و ليس فقط يترك ما حرمه الله بل يترك حتى المكروهات و يتورع عن المشتبهات و يأخذ دينه بالورع .

فهؤلاء يتولى الله أمرهم بالكامل و يتولى الله معونتهم ، و لا يعني هذا أن المُقتصِدين أصحاب القسم الأول لا يتولاهم الله ، بل هم أولياء الله و يأتيهم العون من الله ، و لكن ليسوا كالمُقربين السابقين بالخيرات ، ليسوا بنفس الدرجة .

اسم الله (الحفيظ)

جاء الاسم على وزن (فعيل) صيغة مبالغة تدل أنه : شديد الحفظ ، عظيم الحفظ ، و أن حفظه محيط بكل شيء .

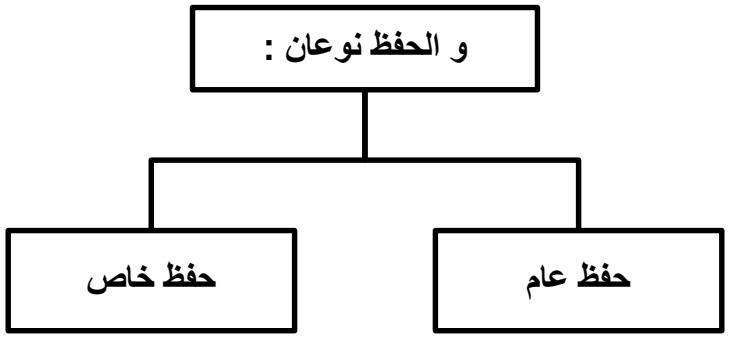

الحفظ العام : يدخل فيه كل مخلوق المؤمن و الكافر ، البر و الفاجر ، السماء و الأرض و البحر و الدواب و كل شيء .

و دليله ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ و قوله ﴿ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ .

الله سبحانه و بحمده يحفظ السماوات و الأرض و ما فيها و قد لا نشعر نحن بهذا الحفظ فهي أمامنا ثابتة مستقرة ، متى نشعر ؟؟ إذا حصلت الزلازل و الفيضانات و الأعاصير و البراكين ، و رأيت الناس يخرجون للطرقات و الأشجار تُقْلع و البيوت تهتز و الأرض تتصدع ، عندها ستستشعر بهذا الحفظ و تستشعر قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾

و قوله ﴿ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ .

فلا تتحرك و لا تميل و لا تسقط ، و الله يحفظ ذلك بلا مشقة و لا كلفة و دون أدنى تعب أو نصب كما قال سبحانه ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ .

و تأمل سعة هذا الحفظ في قوله تعالى : ﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ فكل نفس مُوكّل بها حافظ يحفظها بأمر الله حفظة كرامًا من الملائكة ، يحفظونه في يقظته و منامه و في سيره و جلوسه و في دخوله و خروجه و في سفره و إقامته من المهالك و المعاطب و مصارع السوء ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ .

و يحفظ على الخلق أعمالهم و يُحصي عليهم أقوالهم و أفعالهم و لا تغيب عنه غائبة و لا تخفى عليه خافية ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) ﴾ .

و يوافيهم بها يوم الحساب إن خيرًا فخيرًا و إن شرًا فشر .

الحفظ الخاص : و هو خاص بعباده المؤمنين .

قاعدة هذا الحفظ لمن أراده و أراد أن يدخل فيه هو قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " أحفظ الله يحفظك " فالله يحفظ من يحفظونه ، و على قدر حفظك لربك فإنه يحفظك إذا حفظته حفظًا بالغًا فإنه سيحفظك حفظًا بالغًا و إذا حفظته حفظًا قليلاً فإنه سينقص حفظه لك .

و الجزاء من جنس العمل .

كيف يحفظ العبد ربه ؟؟

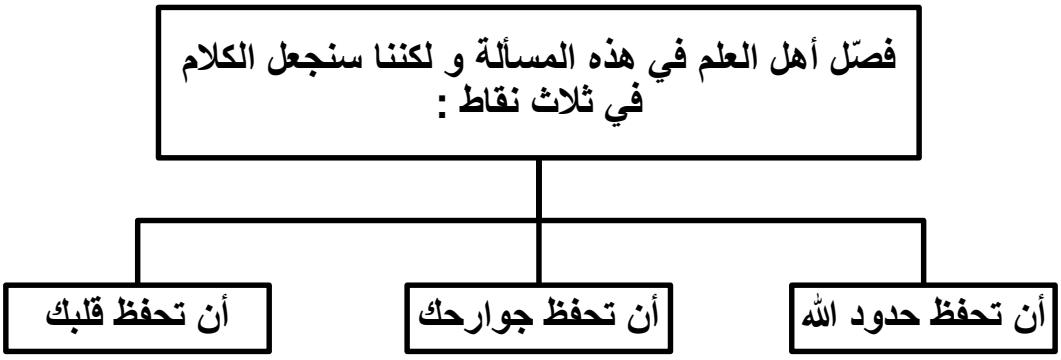

هذه أمور ثلاث إذا حفظتها تأهلت أن يحفظك الله حفظًا خاصًا .

حدود الله : قال تعالى : ﴿ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

حدود الله هي أوامره و نواهيه و هذا يشمل الدين كله و لكن من أهم ما يجب على المرء أن يحفظه من هذه الأمور و الواجبات هي (الصلاة) .
هي الميزان الذي تزن فيه حفظك لأوامر الله كلها .

يقول الله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ .

و يقول سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ .

و يقول صلى الله عليه و سلم : " من حافظ على الصلوات الخمس ركوعهن و سجودهن و مواقيتهن و علم أنهن حق من عند الله دخل الجنة " ، أو قال : " وجبت له الجنة " ، أو قال " حرم على النار "[1] .
و في حديث (من حافظ عليهم كن له نورًا و برهانًا و نجاة يوم القيامة)[2] .

[1] رواه أحمد بإسناد جيد – حسنه الألباني في صحيح الترغيب ١ / ٢٧٦
[2] أخرجه أحمد بإسناد لا بأس به

الصلاة هي رأسك مالك .. هي رأس العبادات كلها هي خط الدفاع الأول عنك ، فالميّت إذا وُضِع في قبره تأتي الصلاة عن رأسه لتدافع عنه و تقول : (ما قبلي مدخل)[1] .

هي العبادة التي يُرزق بها العباد النظر إلى وجه الله تعالى " فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس و صلاة قبل غروبها فافعلوا "[2] .
و أهل الجنة إذا كشف الله لهم عن وجهه و رأوه جل جلاله نسوا حتى نعيم الجنة من عظيم لذة النظر إلى وجهه الكريم سبحانه و بحمده ، فهذا هو النعيم الذي ليس بعده نعيم ، نسأل الله من فضله و لن تحصل عليه إلا بالصلاة .
هي التي تغسل الذنوب عنك " مَثل الصلوات الخمس كمثل نهرٍ جارٍ غمرٍ على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات "[3] .

هذه هي الصلاة ..
إذا أفلحت فيها أفلحت في سائر عملك .
و إذا ضيعتها و أنقصتها و نقرتها و سرقتها و ما انتهيت منها إلا و هي تقول ضيّعك الله كما ضيعتني !! ثِق أنك ستكون لما بعدها من أوامر الله و حقوقه أضيع .. لذلك أعيد عليك (الصلاة هي الميزان الذي تَزِن فيه حفظك لأوامر الله كلها) .

و كأن الصلاة هي الأصل ، فإذا ضبطت الأصل ستضبط الفروع و لا بد .
١- ضبط الصلاة و المحافظة عليها يبدأ من الوضوء ، إسباغ الوضوء و إتمامه و استشعار أن الوضوء عبادة و أن خطاياك تتناثر و تتساقط بهذا الوضوء . إذا توضأ الرجل المسلم خرجت ذنوبه من سمعه و بصره و يديه ورجليه فإن قعد قعد مغفورًا له)[4] .

٢- من حِفْظَك للصلاة أيضًا أن تعرف أن الصلاة محل امتحان يمتحن الله فيه الناس ، و أن من حَسُن وقوفه في صلاته حَسُن وقوفه بين يدي ربه ، فإذا دخلت في صلاتك لا بد من المجاهدة ، حتى لا يغلبك الشيطان عليها فإن له كرات و غارات ، ولا سيما و قد عرفت أنه واضعٌ خطمه على قلب ابن آدم ، فإن ذكر الله خنس و إن نسي اِلتقم قلبه ، فكُن يقظًا ، حارسًا لصلاتك ، مشغولاً بها ، حابسًا قلبك عن الوساوس و الخطرات جامعًا لشتاته حتى تخرج منها و قد كُتبت لك كاملة .

---

[1] رواه الطبراني في الأوسط و ابن حبان في صحيحه و حسنه الألباني صحيح الترغيب ٣ / ٤٠٤
[2] متفق عليه و اللفظ للبخاري
[3] رواه مسلم
[4] صحيح الترغيب و الترهيب ١٩٣

عن عمَّـــار بن ياســـر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : " إن الرجل لينصرف وما كُتِبت له إلا عُشر صلاتـه ، تسعها ، ثمنها ، سبعها ، سدسها ، خمسها ، ربعها ، ثلثها ، نصفها "[1] .

٣- و من حِفظك لصلاتك أن تكثر و تُلِح على الله بالدعاء بأن يجعل قرَّة عينك في الصلاة و أن يرزقك الخشوع فيها ، فالخشوع هو لُب الصلاة و روحها و لذتها ، قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) ﴾ ، و قال صلى الله عليه و سلم : " ما من مسلم يتوضأ فيُسبغ الوضوء ثم يقوم في صلاته ، فيعلم ما يقول ، إلا انفتل و هو كيوم ولدته أمه "[2] .

فإن كانت الصلاة تشغلك و تهمك و هي قضيتك و تريد أن تترقى فيها و أن تُحسن فيها و أن تكون ممن إذا دخل صلاته استشعر أن الله ينظر إليه ، ويستمع لقراءته ، فقلبه حاضر و جوارحه حاضرة ، بل و تترقى أكثر فتكون ممن إذا دخل صلاته و كأنه يشاهد بين عينيه ، مستغرق قلبه مع الله ... مهما أطال .. و مهما قرأ .. و مهما صف قدميه ...
فهو متلذذ بصلاته يتمنى أن لا تنتهي !! فأكثر من الدعاء أن يجعل الله قرَّة عينك في الصلاة ، و أن يرزقك الخشوع فيها و طول القيام و التلذذ بها ، فإن دعاؤك يكشف الهم الذي تحمله في صدرك و ليس شيء أكرم على الله من الدعاء .

حفظ الجوارح : كما قلنا في النقطة السابقة أن أهم و على رأس ما يجب أن تحفظه من حدود الله و أوامره الصلاة ، فإذا حفظتها كنت لما بعدها أحفظ و إذا حفظتها سيحفظك الله في بقية أوامره ، فهنا نقول إن أهم ما يجب أن تحفظه من جوارحك اللسان .

أحفظ هذا اللسان و سيحفظك الله في بقية جوارحك .

" إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول : اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا و إن اعوججت اعوججنا "[3] . تكفر اللسان : تتواضع و تتذلل و تناشده ، اللسان باب مخوف باب وَعِر قلّ من ينجو منه و يسلم منه ، هو موطن البلاء و هو أخوف ما يخافه الصالحون ..

---

[1] صحيح الترغيب و الترهيب ١ / ٣٥٥
[2] رواه الحاكم و قال صحيح الإسناد صحيح الترغيب ١ / ٣٥٥
[3] رواه الترمذي و ابن أبي الدنيا ، وحسنه الألباني صحيح الترغيب و الترهيب (٣ / ٩٣)

بكلمة قد يرتفع الإنسان ، و بكلمة قد يسقط أبعد مما بين المشرق و المغرب (لقد قلت كلمة لو مُزِجت بماء البحر لمزجته)[1] .

اعتل بعير لأم المؤمنين صفية رضي الله عنها و عند زينب فضل ظهر ، فقال النبي صلى الله عليه لزينب : " أعطيها بعيرًا " فقالت : أنا أعطي تلك اليهودية ؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه و سلم فهجرها ذي الحجة و المحرم و بعض صفر[2] ، من اجل كلمة !!

و عن جابر رضي الله عنهما قال : كنا مع النبي صلى الله عليه و سلم فارتفعت ريح منتنة فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " أتدرون ما هذه الريح ؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين "[3] .

ما استزلنا الشيطان إلا من ألسنتنا !!

و لو فتحنا قوائم الألسن و قوائم الكلمات التي ننطق بها ليلاً و نهارًا لوجدنا أنفسنا أمام آفات كالفيضانات تنهمر انهمارًا و تغمرنا غمرًا و ما فينا أحد يستثنى .. !! كلنا متهم !! و كلنا يتكلم !! و كلنا يخوض بلسانه و يلطخ !! و لا مجال للإسقاط ..
و تأمل كلام ابن مسعود رضي الله عنه (و الذي لا إله غيره ما على الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان) و أبو بكر الصديق يجبذ لسانه و يقول (هذا الذي أوردني الموارد)[4] .

الله سبحانه يقول : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ كم يأخذ الهمز و اللمز من واقع الزمن ؟؟

ثواني ، لحظات ، مُجرد حركة لسان إشارة بالعين أو الفم و نحوها و بالمقابل ما هو العقاب ؟؟ ويل (وادي في جهنم تسيل فيه دماء أهل النار و صديدهم) ، أكثر ما نسوّد به صحائفنا زلات ألسنتنا و سقطاتها لذلك قال صلى الله عليه و سلم : " ليس شيء من الجسد إلا يشكو ذرب اللسان على حدته "[5] .
ذرب اللسان : شره و فحشه .

لذلك كانت وصية النبي صلى الله عليه و سلم " من حفظ ما بين لحييه و ما بين رجليه دخل الجنة "[6] .

---

[1] رواه أبو داود و الترمذي و البهقي و قال الترمذي حسن صحيح (صحيح الترغيب ٣ / ٧٧)
[2] رواه أبو داود (صحيح الترغيب ٣ / ٧٧)
[3] رواه أحمد و ابن أبي الدنيا (صحيح الترغيب و الترهيب ٣ / ٧٩)
[4] صحيح الترغيب و الترهيب
[5] صحيح الترغيب و الترهيب
[6] صحيح الترغيب و الترهيب

ومن المعلوم حفظك الجوارح : هو أن تكفها عن الحرام و أن تستعملها في طاعة الله ، فمن أراد أن يتمتع بجوارحه و يستشعر المعنى الذي نردده في دعائنا " متعنا اللهم بأسماعنا و أبصارنا و اجعلها الوارث منا " فليُسخرها في طاعة الله يمتعه الله بها .
أبو الطيب الطبري جاوز المائة و هو مُمَتع بعقله و قوته ، وثب يومًا من سفينة إلى الأرض وثبة شديدة فعوتب على ذلك فقال : (هذه الجوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر)[1] .

حفظ القلب : قلبك هو وديعة الله عندك فإيّاك أن تفرط أو تخون أو تهمل هذا القلب ، هو محل نظر الله عز و جل و هو أنفس و أشرف و أغلى مضغة يمتلكها الإنسان ، و هو طريقك إلى الله ، فالسفر إلى الله ليس سفرًا بالأقدام و النجائب و الركائب و إنما هو سير القلوب إلى الله ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) ﴾ .
و قد كنت استمع إلى إحدى حلقات برنامج (نورٌ على الدرب الذي يُبث في إذاعة القرآن الكريم) فقالت إحدى المُتصِلات على البرنامج : أنها تعاني في الشتاء من الكسل و الفتور في العبادة خاصة في الوتر و قيام الليل بسبب البرد الشديد ..

فرد عليها الشيخ بعبارة هي الشاهد الذي أريده و هي عبارة موفقة مُسددة تبيّن لك أيها القارئ مكانة القلب **!!**

قال لها : (إذا كان القلب حيّ تحرك البدن سواء في الصيف أو في الشتاء) و هذا صحيح ..
إذا ضخ القلب ضخت الجوارح .. و نحرك البدن و نشط في العبادة .
و إذا ضعف القلب ضعفت الجوارح و فتر البدن و كسل عن العبادة .
و ما لم نعتني بقلوبنا ستظل جوارحنا معطلة ، وكما قال الحسن رحمه الله : (داو قلبك فإن مراد الله من العباد صلاح قلوبهم) جامع العلوم و الحكم .

[1] نور الاقتباس لابن رجب

كيف نحفظ قلوبنا ؟

١- أحفظ قلبك من الشهوات و الشبهات حتى لا يسقط قلبك و يضيع منك .
٢- أحفظ قلبك بتخليته و تصفيته و تنقيته من الدغل و الخبث و السرائر الفاسدة و معاصي القلوب فهي مفسدة للقلب و متلفة له .
٣- أحفظ قلبك بأن تتعلم عن ربك أسمائه و صفاته ، فمن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر منزلة الله عنده ، فإن الله يُنزل العبد منه حيث أنزله من نفسه .
٤- أحفظ قلبك بكثرة ما تسقيه و ترويه من كلام الله حتى لا ينشف و ييبس و يقسو هذا القلب و يصبح كالأرض الجرداء القاحلة التي لا نبات فيها و لا ماء ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾[١] .

٥- أحفظ قلبك بكثرة الأعمال القلبية (من حب و خوف و رجاء و ذل و خضوع و إنابة و إخبات و توكل و مراقبة و إقبال و تسليم و تفويض و تعظيم ... و غيرها من أعمال القلوب) .
درّب نفسك عليها فهي تضمن لك سلامة قلبك و زكاته و رقته و لينه ، قال صلى الله عليه و سلم : " إن لله آنية من أهل الأرض و آنية ربكم قلوب عباده الصالحين و أحبها إليه ألينها و أرقها "[٢] ، سبقت البشرى لأصحاب هذه القلوب من الله رب العالمين فقال : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾[٣].

بشّر كل من لان قلبه ، وارتجف فؤاده ، و ذرفت دموعه ..
بشّر كل من خاف و وجل و أخبت و أناب .
بشّر كل من وجد دموعه حارة و حاضرة و قريبة و وجد نفسه منجذبًا إلى ربه في ليله و نهاره

[١] الزمر٢٢
[٢] السلسلة الصحيحة ١٦٩١
[٣] الحج٣٤

﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾

و في الحديث " يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير "[1] .
قلوبهم مثل قلوب الطير في رقتها و خوفها و فزعها و ضعفها آواهين منيبين رجّاعين ، إذا أذنب أحدهم أقل ذنب و أبسطه انتفض كما ينتفض العصفور و عاد و أناب إلى ربه .

أحفظ قلبك

فقلبك وديعة عندك و على قدر عنايتك بقلبك سوف تؤجر ، و ما سعى الإنسان في إصلاح شيء أعظم من سعيه إصلاح قلبه .
هذه ثلاث محاور للحفظ ، أحفظ حدود الله و أحفظ جوارحك و أحفظ قلبك ، إن حفظتها حفظك الله .

ثمرة الحفظ :

١- و إذا حفظك الحفيظ فأنت في خير و إلى خير و قد حزت الخير كله ، و إذا حفظك فلن يستطيع أحد أن يضرك أو يؤذيك أو يتسلط عليك .
٢- إذا حفظك زاد دفاعه عنك و نصرته لك و ستره لمعايبك حتى لا يراها الناس منك . و نتيجة الحفظ و ثمرته واضحة في قول النبي صلى الله عليه و سلم (أحفظ الله تجده تجاهك) ، أي أنك تجد الله معك في كل أحوالك يحوطك و ينصرك و يسددك و يقودك إليه ، يحفظ عليك إيمانك و قلبك و أهلك و مالك و ذريتك .

قال قتادة : من يتقِ الله يكن الله معه و من يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تغلب و الحارس الذي لا ينام و الهادي الذي لا يضل ، اقرأ القرآن و أنت سترى الآيات تلو الآيات تصور لك حفظ الله لأنبيائه و حفظه للصالحين من عباده ، حفظه لصحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم ، حفظه لقلوبهم ، لإيمانهم و هذا كثير و خاصة في السور التي تتكلم عن الغزوات ..
و لكن ما فائدة الآيات بدون إبصار ؟؟

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ .

[1] رواه مسلم في صحيحه ٧٠٩

٣- إذا حفظك الله حال بينك و بين معصيته ، ذكر ابن رجب خبر ذلك الرجل الذي هم بمعصية فخرج إليها فمرّ بطريقه برجل يحدث في حلقه فسمعه يقول : أيها الهام العاصي بالمعصية أما علمت أن خالق الهمة مُطلع على همتك ؟؟ فوقع مغشيًا عليه و ما أفاق إلا عن توبة[١] .
و كم و كم من الكلمات التي أسمعك الله إيّاها (و أنت في زعزعة و ضعف و حيرة و فيك ما فيك) يُسمِعك الله إيّاها من فم خطيب أو شيخ أو من إذاعة و نحوها ليحفظ عليك دينك و إيمانك فتثبتك و توقظك و تنتشلك من حيرة كنت فيها أو تردك من خطوات لمعصية مشيتها **!!** أسمعك الله إيّاها سماع قلب فحفظك بها و حال بينك و بين معصيته و هذا من صور حفظه جل جلاله لك .

٤- إذا حفظك حال بينك و بين سبب من أسباب الدنيا كان يؤذيك أو تتضرر فيه ، يقول ابن مسعود رضي الله عنه : (إن العبد ليهم بالأمر بالتجارة و الأمارة فينظر الله للملائكة فيقول اصرفوه عنه فإني إن يسرته له أدخلته النار فيصرفه عنه)[٢] .

---

[١] نور الاقتباس لابن رجب – بتصرف – و أنصح القارئ بقراءة هذه الرسالة المفيدة
[٢] نور الاقتباس – لابن رجب – بتصرف

اسم الله (الوهّاب)

يقول ابن القيم في نونيته :

و كذلك الوهّـــــــــــــابُ من أسمائـــهِ فانظُر مواهِبهُ مدى الأزمـــــــــــــــانِ
أهلُ السماواتِ العُلى و الأرضِ عـــــــن تلك المواهـــــــــــــــــبِ ليس ينفكانِ

ورد في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع :

- قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾.
- و قال تعالى : ﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴾ .
- و قال تعـــالى على لســـان سُليمـــان : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾.

ما هو تعريف الهبة ؟

هي العطية الخالية عن الأغراض و الأعراض و الآلام و الضرر .

متى تسمى العطية هبة ؟

إذا كانت خالية من العِوض ← يُعطيك و لا ينتظر من وراء هذا العطاء عِوضٌ منك ، بأن ترد له هذه العطية بمثلها أو بأحسن منها .
إذا كانت خالية عن الأغراض ← يُعطيك و لا ينتظر منك مدحًا و لا ثناءً و لا حظًا و لا رفع مذمة عنه ، فيعطيك بغير عِوض و لا غرض .
إذا كانت خالية من المكروه و الضرر ← عطية نقية لا ضرر فيها و لا مكر و لا استدراج ولا سوء.

و لا يستحق أحدٌ أن يُسمى و هّابًا إلا إذا :

- تنوعت وهائبه و تعددت و كثُرت من جهة ، و من جهة أخرى استمرت و دامت و اتصلت ، فعلى هذا لا واهب على الحقيقة إلا الله عز و جل فهو سبحانه الذي تعددت مواهبه ، يهب ما يشاء لمن يشاء ؛ يهب المال ، و الجمال ، العِلم ، الولد ، الدنيا ، المُلك ، و المتاع و الطاعة و الرحمة و المغفرة و الهداية ... يهب كل شيء ، كل ما يتعلق بأمر الدنيا و الآخرة هو هِبةٌ من الله و متعلق باسمه الوهاّب .

وهائبه و عطاياه تُدر على عباده بدون حصر و لا عد

- ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ .
- ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ .
- ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾ .
- ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ .

هباتٌ متنوعة تُعرّفك قدر الوهّاب و قيمة الهبة . فمن قرأ كلمة ﴿ وَهَبْنَا ﴾ بقلبٍ واعٍ حيٍّ وقّاد لعرِف و فهم أن معناها أعطينا بلا سؤال و لا طلب .. أعطينا و وسعنا في العطاء .. أعطينا ما لا يُتصور أن أحدًا يعطيه ، و وهبنا ما لا يستطيع أن يهبه أحدٌ لأحدٍ البتة .

- أيوب عليه السلام قال الله عنه : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا ﴾

قال جملة المفسرين : إن أيوب أبتُلي في بلائه ثلاث عشرة سنة ، فرفضه القريب و البعيد و عافه الجليس ، و أوحش منه الأنيس و انقطع عنه الناس و فقد جميع ماله و ولده ، و لم يبقَ له إلا زوجته البرّة الوفية التي كانت تخدمه و تقوم بشأنه حتى كانت تخدم الناس لتُطعمه ، و ما زاده هذا البلاء إلا صبرًا و احتسابًا و حمدًا .

و بعد هذا الصبر أتت الوهائب . وهبه الله أهله و مثلهم معهم ، أحيا له أولاده الذين ماتوا ، شفى المريض منهم ، جمع عليه من تشتت منهم ، أعطاهُ مثل ما أخذَ منه و زاده عليه .

ليس ذلك فقط ، بل أنزل عليه من السماء جرادًا من ذهب ! كما جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " بينما أيوب يغتسل

عريانًا خرّ عليه رِجلْ جراد من ذهب ، فجعل يحثي في ثوبه ، فناداه ربه : يا أيوب ألم أكُن أغنيتك عما ترى ؟ قال : بلى يا رب و لكن لا غِنى لي عن بركتك "[1] .
هذا عطاء يدلك على سِعة هبة الله لعبده . طالما أن هذا العبد صبر لربه هذا الصبر و سكن له و تواضع و تضرّع فإن الله سيهبه بلا حصر و لا عد و لا عِوض و لا غرض . فالهِبة تأتي على قدر الواهِب لا على قدر الموهوب له .
فإذا أصابك مكروه أو حلّ بك ما لا تحب ، و لزِمت الصبر و لم تتضجر و لم تتأفف و لم تشتكي فثِق أن وهائب الله ستأتيك ، و أنه على قدر لجوئك ستكون وهائب الله لك .

- تأمل حال زكريا عليه السلام بلغ من العمر التسعين ، انتشر الشيب في شعره ، وهَنَ عظمه و جسده ، بلغ من العمر عتيًّا و هو السن الذي تيبس فيه المفاصل و العظام و تجف . بالإضافة إلى عُقم زوجته فهي عاقر لا تلد ، كان في قمة العجز في الأسباب . و هو في خضم هذا العجز و العجز يلفه من كل جانب ، حقّق العبودية و أظهر لله فقره و مسكنته و ذُلّه و حاجته ، انطرح بين يدي ربه .
و ابن رجب رحِمه الله يقول : (من طرح نفسه بباب ربِ الأرباب لم يحتج إلى زمنٍ طويلٍ في فتح الأبواب)[2] .
أظهر لله ضعفه .. يا رب أنا ضعيف أضعف من الريشة التي تتقلّب في الهواء .. أضعف من راكبٍ في سفينة و الأمواج تقلّبه ، ترفعه و تخفضه ، فهو غرقان لا محالة .. يا رب أنا أضعف لك من هذا و من ذاك .
إذا عرف العبد أن ينطرح بين يدي ربه بهذا الضعف و بهذا الانكسار فإن الأبواب لا شك ستُفتح و الوهائب ستنزل .

زكريا عليه السلام انطرح و استوهب ربه و قال : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾

يقول بعض أهل التفسير : إذا وجدت إنسانًا يقول ربِّ هب لي ، فاعلم يقينًا انه قد وضع أملُه كلُه في الله و لغى الأسباب . لأن الهبة عطاء من الله بدون مقابل ، فالله يُعطي بدون أسباب ، و يُعطي حتى و إن عزت الأسباب . و من عَظُم يقينه بربه لم يكِله الله إلى نفسه و لا إلى الأسباب . لم يكِله الله إلا إليه جلّ جلاله . و إذا وكلك الله إليه دبَّر أمرك و قضى حاجتك و تولاك و سعِدت سعادةً لا مثيل لها .
اللهم إنا نسألك صِدق التوكل عليك و كمال حُسن الظن بك .

---

[1] رواه البخاري (٦ / ٤٢٠)
[2] نزهة الخاطر العاطر لابن رجب

- علّمنا الله في كتابه أن نستوهبه

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾

و هذه رحمةٌ شاملةٌ تشمل ست رحمات :

أن يحصل في القلب نور التوحيد و الإيمان ، و أن يحصل في الأعضاء نور الخدمة و الطاعة ، و أن يحصل في الدنيا سهولة أسباب المعيشة و صلاح الحال ، و أن يحصل عند الموت سهولة السكرات ، و أن يحصل في القبر سهولة السؤال ، وفي القيامة غُفران السيئات[1] .

- استجاب الله لدعاء موسى عليه السلام فوهبه أخاه هارون نبيًا ، و النبوة أعلى ما يمكن أن يهبه الله لعبدٍ في الدنيا ، فهي لا تُنال بعقل و لا ذكاء و لا اجتهاد و إنما هي هبة الله المحضة .
- استجاب الله لدعاء إبراهيم عليه السلام فوهبه إسحاق و يعقوب نافلة .
- استجاب الله لسليمان عليه السلام فوهبه مُلكًا عجيبًا يحار العقل في مفرداته و عناصره .

فما بقي لنا نحن إلا أن نوّحد ربنا بهذا الاسم العظيم (الوهّاب) ، و أن نستوهب ربنا كل شيء ، و لا نستعظِم و لا نستكثِر في حقه شيء . فالله أكبر و أعظم من كل شيء . و الله عزّ و جل لا يحب من عبده التشكُّك و التردد و أن يقول كيف ؟ و من أين ؟ و لا يمكن و مستحيل ... و كأن خزائن الله قد نفذت و عطاياه قد انتهت و كأن الله ليس عنده ما يُغني به خلقه .

يحبُ اللهُ من عبده أن يوحده و أن يعلم قدرته و أن يعلم سِعة عطائه و مُلكه و كثرة و هائبه و أنه هو الوهّاب سبحانه و بحمده .

[1] نقلاً من إحدى الدروس العلمية للدكتور محمد الدبيسي في شرحه لاسم الله الوهاب

اسم الله (الشكور)

معنى اسم الشكور : هو الذي يُجازي على المعروف بأكثر منه ، ويعطي الكثير على العمل القليل ، و يضاعف الأجر بلا حساب .

و من صور شُكر الله لعبده :

- أنه إذا انعقد قلبك في السير إليه جل جلاله و مشيت إليه شبرًا مشى إليك ذراعًا ، و إذا مشيت إليه ذراعًا مشى إليك باعًـا . و في الحديث القدسي " عبدي قُم إليّ أمشي إليك ، و امشِ إليّ أهرول إليك "[1] .
- و من شُكْرِه أنه ينشرُ للعبد طِيبَ إحسانه فيُثني عليه بين ملائكته و في ملأه الأعلى و يُلقي له الشكر بين الناس .
- من شُكْرِه أنه يشكر للعبد حتى حركة قلبه و يجازيه عليها أضعاف أضعاف ما كان يتصوره .
  سحرة فرعون صدقوا مع الله في توبتهم و كرههم للسحر و كان الله مطلعًا على قلوبهم شاهدٌ على ما قام فيها ، فشكر لهم صدقهم فثبتهم و ربط على قلوبهم و أفرغ عليهم صبرًا و رفع ذكرهم و أنزل فيهم قرآنًا .
- من شُكْرِه لعبده أنه من ترك شيئًا لله عوضه خيرًا منه ، و من بذل له شيئًا رده عليه أضعافًا مضاعفة .
- و من شُكْرِه لعبده أنه غفر لامرأةٍ بغيّ (محترفة زنا و متمرسة فيه قضت سنوات من عمرها في الزنا و البغاء) غفر لها لأنها سقت كلبًا ! و هل سُقيا كلب تمحو هذه الكبيرة الفظيعة الشنيعة ؟
  إنه الغفور الشكور الذي لا يُقال له لِمَ و كيف و لماذا ؟

إنه الرب الشكور سبحانه و بحمده و يحب من عبده أن يكون شكورًا ، و قد قال صلى الله عليه و سلم : " لا يشكرُ اللهَ من لا يشكرُ الناس "[2] . أي من كان طبعه كفران نعمة الناس و عدم الاعتراف بجميلهم و معروفهم و كانت هذه هي عادته مع الناس فهي هي عادته مع الله .

---

[1] السلسلة الصحيحة (٢٢٨٧)
[2] رواه أبو داود و الترمذي و قال حسنٌ صحيح

لذلك إبراهيم عليه السلام لما زار ابنه إسماعيل في أرض الحجاز و لم يكن في بيته و خرجت زوجته إليه و سألها كيف أنتم ؟ فأخذت تشتكي من الفقر و القِلّة و .. قال لها : إذا رجع قولي له غيّر عتبة بابك أي طلِقها . لماذا ؟ لم تشكر و لم تذكر نعمة الله عليها . الوفاء عندها قليل و الله يحب من عباده الأوفياء و يحب من عباده الشاكرين المعترفين بفضل الله عليهم و بفضل كل ذي فضلٍ عليهم . جعلنا الله و إيّاكم من الشاكرين .
و أختم بهذه الأبيات لأبي تمام :

و من الرَّزيَّةِ شُكريَ صامـــــــــتٌ عمـــّا فعلتَ و أنَّ بِرَّكَ ناطِـــــــــقُ
أأرى الصنيعةَ منك ثُمَّ أُسِرُّهـــــــا إنّي إذًا لِندى الكريـــمِ لســـــــــارقُ

أخيرًا : الشكر يحتاج إلى ضراعة

صفوة الخلق كانوا يسألون الله أن يرزقهم و يعينهم على الشكر ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ .
و هاهو دعاء نبينا صلى الله عليه و سلم الذي علّمه لِمعاذ رضي الله عنه " اللهم أعنّي على ذِكركَ و شكركَ و حُسنِ عِبادتك " . و أخبرنا عليه الصلاة و السلام " من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بي من نعمةٍ أو بأحدٍ من خلقك فمِنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد و لك الشكر فقد أدّى شكر ليلته "[1] .
و قال صلى الله عليه و سلم : " إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلةَ فيحمدهُ عليها أو ليشرب الشربةَ فيحمده عليها "[2] .
و قال عليه الصلاة و السلام : " من صُنِع إليه معروفٌ فقال لفاعِله : جزاك الله خيرًا فقد أبلغ في الثناء "[3] .
و قد كان أبو بكر رضي الله عنه يقول في دعائه : " أسألك تمام النعمة في الأشياء كُلِّها ، و الشكر لك عليها حتى ترضى و بعد الرضا ، و الخيرةُ في جميع ما تكونُ فيه الخيرةُ بجميع ميسورِ الأمور كُلِّها لا معسورِها يا كريم "[1]

---

[1] رواه أبو داود و النسائي
[2] رواه مسلم (٢٧٣٤)
[3] رواه الترمذي و قال حسنٌ جيد